مذكرات في تابوت العهد

تأليف.عبدالله احمد

- مذكرات في تابوت العهد

٩٧١ ق.م

لقد أشرقت ارض بيت المقدس المباركة بنور العلم والحكمة في تلك الحقبة من التاريخ عندما اجتمع فيها عدد ليس بالقليل من الانبياء والحكماء والصالحين في آن واحد وفي مكان واحد ، في بيت المقدس هذه الارض الطيبة والبقعة المباركة حيث شهد هذا الزمان بعثة النبي شومئيل نبي اسرائيل في هذا الوقت والملك طالوت الذي زاده الله بالعلم والجسم وملكه على بني اسرائيل ومن بعده النبي داود الذي آتاه الله الملك والحكمة ثم حضور لقمان الحكيم الذي جاء من مصر وعمل قاضيا مع داود ، ثم تولى سليمان الملك واتاه الله الحكمة والنبوة وعلمه من كل شيء وسخر له كل شيء حتى سخر له الريح تجري بأمره والجن تعمل بإذنه وكان معه أيضا العالم العابد آصف بن بريخا الذي فاقت قدرته قدرة الجن لعلمه بالكتاب وذلك عندما طلب سليمان منهم أن يأتيه أحد بعرش الملكة بلقيس قبل قدومها فعرض عليه احد العفاريت انه يأتيه بعرشها قبل انتهاء مجلسه الذي كان يفصل فيه بين الناس من اول النهار لآخره ، فاستبطأ سليمان ذلك ، فعرض عليه كاتبه ومستشاره آصف بن بريخا العالم العابد عرض عليه ان يأتيه بعرشها قبل أن يرتد إليه طرفه او كما يقال في طرفة عين وذلك لقربه من الله وعلمه ، ولكن الله كان أقرب فنظر سليمان فوجد العرش امامه فشكر الله وحمده على نعمة واستجابته .

فلا عجب من غرائب وعجائب هذه الحقبة الزمنية التي امتلأت بنور النبوة والعلم والحكمة ما يفوق المعجزات وخاصة في عهد النبي سليمان الذي آتاه الله من الملك والقدرة مالم يؤتي أحد من العالمين بحيث اعطاه من القدرة ما يمكنه من مخاطبة الطيور والحيوانات ومعرفة لغاتهم وسخر له الريح تجري بأمره بحيث يسافر عبر الريح تحمله وجيشه في سفينة إلى اي مكان يريد وفوق كل ذلك فقد من الله عليه بالسيطرة على عالم الجن يعملون بأمره ومن ينحرف عن طاعته يصاب بعذاب أليم ، فلا شك ان مستشاره وكاتبه آصف بن بريخا الذي عاش معه في هذه الحقبة وأتاه الله علم الكتاب يتمتع ايضا ببعض الخوارق نظرا لقربه من الله وعلمه باسم الله الأعظم

٢٠٢١م

مديرية الامن . محافظة أسيوط

بينما كان يجلس الضابط حسام في مكتبه وأمامه كوب القهوة يقرأ في احدى الجرائد تلقى اشارة عاجلة بالتوجه إلى إحدى القرى حيث تم العثور على جثة شاب في منزله في احدى قرى محافظة اسيوط بعد بلاغ وصل للشرطة من احد الجيران ، فكان عليه التوجه فورا إلى مكان الواقعة لإجراء التحقيقات اللازمة والبحث عن أسباب الواقعة

وبالفعل توجه الى مكان الواقعة في بيت قديم بعض الشيء ولكنه مازال يحتفظ بجماله وهدوئه حيث كان البيت على الطراز المصري القديم الذي يتسم بالجمال والبساطة في كل شيء وبعد معاينة المكان تفاجأ الضابط حسام ومن معه بوجود حفرة كبيرة في إحدى الغرف وفي الحفرة درج خشبي يبدو ان احدا يستخدمه لنزول الحفرة وفي حذر نزل الضابط على الدرج وتبعه مساعده واحد العساكر حاملا كشاف اضاءة وبدخولهم ممر الحفرة بدت وكأنها غرفة قديمة تشبه المقابر الفرعونية وتوسطها تابوت قديم غريب الشكل فتملكهم الخوف ولكن الضابط اصر على فتح التابوت لمعرفة ما يحتويه وبالفعل قاموا بفتح التابوت ليفاجأوا بوجود جثة شاب في الثلاثين من عمره تعلوا وجهه ابتسامة وليس بها اي اثار لجروح او اصابات وبجواره بعض اللفائف القديمة والمذكرات وعصا خشبية وألواح خشبية قديمة ، فأمر الضابط بحمل الجثة وإرسال الجثة الى الطبيب الشرعي وحفظ كل المتعلقات ورفع البصمات عاد الى مكتبه ومعه دفتر المذكرات التي من المؤكد أنها تعود لصاحب الجثة وبعض اللفائف القديمة.

- وبعد ايام تلقى تقرير الطب الشرعي وهيئة الاثار الذي اشار الى قِدم هذا التابوت وتاريخه الذي يعود لقرون قبل الميلاد ، وقرأهم جيدا وبدأ يكتب التقرير الخاص به ..

انه في يوم ٢٠٢١/١/٢٣ قد تم العثور على جثة شاب في الثلاثين من عمره في حالة سليمة داخل تابوت اثري قديم بدون أي اثار لطعنات او اصابات مما يؤكد أن حالة الوفاة طبيعية وذلك بعد اجراء الفحوصات الطبية اللازمة ، كما عُثر أيضا في التابوت على الواح خشبية بعضها مهشمة ومكتوب عليها باللغة العبرية بالإضافة إلى وجود عصا خشبية من جزع شجرة وبعض اللفائف تعود للقرن الخامس قبل الميلاد وبعض المذكرات التي كتبها المتوفي بخط يده ..

ولكنه توقف عن الكتابة وقرر ان يقرأ المذكرات التي اثارت فضوله وخاصة أن هذه القضية تبدو غامضة بعض الشيء لعله يجد فيها معلومات اخرى تُفيده في القضية ..

مذكرات أدهم .

انا ادهم محمد ابراهيم شاب اعزب في الثلاثين من عمره اعيش في احدى قرى محافظة اسيوط في صعيد مصر وحيد لأبوين توفاهم الله في حادث سير اثناء عودتهم من زيارة عمتي التي تسكن في المدينة المجاورة وعلى الرغم من مرور أكثر من عام على وفاة والدَاي في مثل هذا اليوم الأليم من السنة الماضية مازلت اذكر هذا اليوم جيداً عندما تلقيت فيه الخبر كالصاعقة التي تشعر معها بزوال نصف روحك ولم يتبقى منك إلا القليل ..مازلت استرجع الذكريات كل ليلة وما أشد الذكريات المؤلمة على القلوب المثقلة بالحزن، وأحيانا كنت أسهر بالساعات أنظر إلى لا شيء وربما يخيل إلي اني أراهم وأتحدث معهم لبعض الوقت ولكن سرعان ما كنت أستعيد وعيي مدركا اثر الصدمة المفاجأة التي لحقت بي ثم يغفوا علي وأدخل في نوم عميق.. أعلم انه يوجد اتصال روحي بين الارواح المتآلفين وخاصة إذا جمعتهم الحياة وفرقهم الموت فجأة .. وقد يحدث اتصال روحي ايضا مع الغرباء ولكن لغرض قدره الله .

ولكن ما رأيته في الليلة الماضية كان امرا غريبا بحق .. تلك الرؤية التي تراودني هذه الأيام وذلك الشيخ الغريب الذي وقف يوما ينظر إلى بيتنا وقال لأبي : هذا البيت يوجد به كنز عظيم! ولكن أبي تجاهل قول الرجل ولم يصدقه نظرا لملابسه الغريبة التي كانت تشبه ملابس البدو من الطراز العربي القديم وهيئته التي تشبه المشعوذين ومع ذلك فقد احسن ابي استقباله ولكن الشيخ شكره وذهب، عندما احس منه عدم التصديق.

لقد كان أبي رجلا زاهدا في الحياة لا يهتم كثيراً بهذه بأمور الدنيا واغلب وقته كان يقضيه في العبادة وذكر الله وكذلك امي ايضا .

ولكن الغريب في الأمر اني رأيت هذا الشيخ مرة اخرى هذه الايام ولكن رأيته في المنام فقد كان يشير الى زاوية الغرفة التي كان ينام فيها والداي !.. ربما كان يريد ان يقول لي ان هذه الغرفة هي التي بها الكنز! ..وهل حقا يوجد في بيتنا كنز ؟..

ولما لا ..فالكثير من الناس في مدن الصعيد وجودوا مقابر فرعونية مملوءة بالكنوز والتماثيل الذهبية وخاصة في صعيد مصر حيث كانت عاصمة مصر القديمة آنذاك وكما هو متعارف عن المصريين القدماء من كثرة وفائهم كانوا يضعون ممتلكات الميت معه في قبره لينعم بها في العالم الاخر ، على عكس ما

يحدث الان فأول ما يفكر فيه الورثة بعد وفاة الميت هي التركة والتسابق على تقسيم الميراث وقد يتقاتلون من اجل ذلك وربما يأكل الاخ ميراث اخته وغير ذلك..

لم تكن هذه المرة الأولى التي رأيت فيها هذا الحلم الغريب ، فقد سبق لي وقد رأيته منذ أيام ولكني ظننتها اضغاث احلام لا فائدة منها ،ولكن الغريب في الامر أن ارى نفس الحلم مرة اخرى فهذا يعني ان هناك شيء مهم يستحق البحث وربما تكون اشارة هذا الشيخ صحيحة بالفعل عن وجود كنز في بيتنا ولما لا .

في اليوم التالي استيقظت من نومي وقد ضقت ذرعا من هذا الفراغ الذي يحيط بي من كل اتجاه حتى أني توقفت عن العمل منذ وفاة والداي ،وروحت افكر بصوت مسموع وأسأل نفسي : تُرى ما فائدة الحياة بدون هدف او عمل؟ .. هل ستترك نفسك فريسة لفراغك وأحزانك ؟ يجب ان تستعيد عافيتك وتبدأ في القيام بشيء مفيد لكي تستمر الحياة ..هذا هو الواقع الذي لا مفر منه.. وهذه هي الحياة قد تجبرنا على اشياء ليس لنا فيها اختيار. ومع ذلك ويجب ان نعيشها بحلوها ومرها ونصبر فما هي إلا اختبار وبعده اما النجاح او السقوط في الهاوية، فهي دائما ضدان متكاملان ! حيث أن الراحة الدائمة تدعوا الى الملل والرتابة ، فلابد من التعب لكي تشعر بطعم الراحة ،ولابد من الألم حتى تشعر بطعم العافية ،ولابد من الحزن حتى تشعر بطعم الفرح لذلك قال الله في قرآنه . إن مع العسر يسر . هكذا هي الحياة مع كل عسر يسر ، ضدان متكاملان ، حزن وفرح ، الم وعافية ، فشل ونجاح .

لا شيء يدوم لذلك علينا ان نتعلم ونصبر ونستمر مهما حدث ..

ما زلت اذكر هذا الرجل جيدا، لقد كانت هيئته وملابسه غريبا حقا ويبدو ان خلفه سر كبير ، علي ان ابحث عنه واتأكد من الامر ربما يكون صادقا حقا في اشارته

وان صدق في ذلك حقا ووجدت كنز او مقبرة فرعونية حينها قد أُصبح من الاثرياء في وقت قصير وبذلك يمكنني فعل الكثير من الاشياء وأطوف العالم وأفعل كل ما كنت أحلم به .. ولكن اين أجد هذا الرجل ! لقد مر عام على اخر مرة رأيته فيها عندما اخبر والدي بذلك الأمر .. ومن المعلوم ان هؤلاء الناس من أمثال هذا الرجل غالبا لا يستقرون في مكان ولذلك تجد الواحد منهم قد يرتدي اكثر من جلباب وبعضهم يحمل عمامة كبيرة فوق رأسه ولكنها في الحقيقة ليست عمامة بل أحيانا يكون بداخلها ملابسه ومتاعه من الحياة.. حيث ان معظمهم لا يمتلك منزل او دخل فهم دائما يفضلون السير في الطرقات ويأكلون مما يجيد به اصحاب الفضل عليهم وقد ينامون في اي مكان من ارض الله ..هذه هي الحياة بالنسبة لهم ليس لها قيمة .دار ممر لا دار مقر. وقد يكون وصل إلى هذه الحالة اثر صدمة و ظلم تعرض له في حياته ..

نهضت من فراشي وارتديت جلبابي عازماً على البحث عن هذا الرجل وذهبت أبحث عنه محدثاً نفسي : غالبا ما يعيش هؤلاء الناس اكثر اوقاتهم في المقابر فهي اكثر مكان آمن ومريح لكل من زهد في الحياة اذ ان الاموات اكثر هدوءً وسلاماً من البشر.

وصلت بالفعل إلى المقابر، الطريق لم يستغرق سوى عشرون دقيقة سيرا لم يشغل بالي خلالها سوى هذا الشيخ الغريب وكنت اتلفت يميناً ويساراً لعلي أراه هنا أو هناك ..

وما ان وصلت إلى المقابر والقيت السلام على الاموات وروحت أسأل نفسي : تُرى هل يسمع الأموات سلامنا او يشعرون بنا كما سمعنا ؟!

لقد قرأت عن ذلك وسمعت الكثير وأغرب ما قرأت في هذا الموضوع أن الاموات تفرح بزيارات زويهم والدعاء لهم خاصة ليلة الخميس والجمعة ومن أغرب ما قرأت أيضا ان الحيوانات فقط هم من يستطيعون رؤية أرواح الأموات وسماع صوتهم! وتذكرت بعض المشاهد التي قد تدل على ذلك، مثل مشهد الناقة الصغيرة التي مات صاحبها فذهبت الى قبره ومكثت بجواره ثلاث ايام بلا طعام او شراب وغير ذلك الكثير من المشاهد، قد يكون هذا الامر خاص بالحيوانات لأنهم لا يستطيعون التفوه بما يرون او يسمعون أو لأن بعضهم أكثر نقاءً من الكثير من البشر ..

ورحت أبحث هنا وهناك عن هذا الرجل وسألت بعض اقرانه الموجودين ولم يتعرف عليه أحد!

وقد شعرت باليأس من العثور عليه وفي النهاية قررت ان اذهب الى قبر والداي لكي أسلم عليهم وأقرأ لهم الفاتحة وادعوا لهم بالرحمة والمغفرة ..وبينما كنت جالس أمام القبر في حزن وأسى استعيد الذكريات ، شعرت بيدٍ تربت على كتفي فالتفت فإذا هو! ذلك الشيخ الذي أبحث عنه، يقول لي في ابتسامة صافية : السلام عليك يا بني، هل تريد مني شيئاً ؟

أجبت سلامه وقلت : نعم أيها الشيخ الطيب أردت ان اتحدث معك قليلا عن شيء مهم ، وأتمنى ان تلبي دعوتي للعشاء في بيتي اليوم . ووصفت له مكان البيت ولكنه قاطعني قائلا : حسنا يا بني أنا أعرف هذا البيت جيدا لقد عشت فيه أكثر مما عشت فيه أنت !!

وتركني الشيخ وانا في تعجب من قوله هذا ترى ماذا يقصد بقوله .لقد عشت فيه اكثر مما عشت فيه انت .!!

ونظرت حولي لأسأله ولكن لم يكن له أثر ولا اعلم كيف ذهب بهذه السرعة ..

عدت إلى منزلي وفي المساء سمعت طرقات على الباب ونهضت لأفتح ففوجئت بالشيخ واقفا أمامي يلقي علي السلام! أجبت عليه السلام وانا في ذهول من طريقة دخوله المفاجئة في حين ان الباب كان ومازال مغلق ، انتابني شعور بالخوف والرهبة ولكني تمالكت نفسي ورحبت به وانا انظر إليه في شيء من الحيرة والخوف وادخلته الى غرفة الاستقبال ولكن الرجل راح يلقي نظرة على البيت ويتجول فيه وكأنه قد عاش فيه من قبل حقا وسط دهشتي وانا اتبعه إلى ان وصل إلى غرفة والداي المغلقة وطلب ان يدخلها لكني أخبرته بأنها كانت غرفة والداي ولم افتحها من بعد وفاتهما ، فقال الشيخ : الله يرحمهم يابني ولكن يجب أن تُفتح هذه الغرفة لأن فيها خير كثير لك !

فأردت أن استوضحه فسألته : من انت أيها الشيخ وفي أي بلد تعيش ؟! فنظر لي وقال :ستعرف عندما تفتح الغرفة!!

ثم ذهب وتركني غارقاً في افكاري حتى أني نسيت ان ادعوه للعشاء .

أخذت أفكر في ما اخبرني به الشيخ الغريب وبالفعل فتحت الغرفة التي كانت مغلقة منذ وفاة والداي وبدأت اتفقد حالها واثارهم فيها واخذني الشوق لرؤيتهم وانخرط في البكاء ولكن تمالكت نفسي وبدأت افكر في كلام الرجل وفي النهاية عزمت على البحث في هذه الغرفة والحفر فيها لعلي أجد شيئا في اسفلها كما قال الشيخ ولن اخسر شيء على كل حال سوى بعض المجهود .

في اليوم التالي بدأت بنقل الاشياء التي كانت في الغرفة واحضرت بعض ادوات الحفر وبدأت الحفر إلى اخر النهار ولم أصل إلى شيء وفي اليوم الثاني استمريت في الحفر وقد صارت الحفرة بعمق مترين تقريبا ولم أجد شيئا ايضا ، بدأت أشعر باليأس وخيبة الأمل وقررت عدم الحفر مجددا وغدا سوف اردم الحفرة واعيد كل شيء كما كان ..

ولكن حدث شيئاً جعلني اتراجع واعود للحفر مجددا وذلك بعدما رأيت نفس الحلم الغريب في ليلة البارحة.. وذلك الشيخ وهو يشير على الغرفة بعينها وكأنه يحثني على الاستمرار في الحفر.

فنهضت من مكاني وصليت الفجر وتناولت الافطار وبدأت في الحفر مجددا إلى ان تفاجأت بشيء صلب يعترض الفأس اثناء الحفر وبعد قليل بدا انه غطاء رخامي مربع كانه باب لغرفة فرفعته بصعوبة فإذا هو قبو صغير مظلم أشبه بالمقبرة وفيه درج خشبي صغير فأضأت كشافي ونزلت في حذر وبينما كنت أستكشف هذا القبو فوجدت تابوت خشبي قديم تراكم عليه الغبار من مئات السنين على ما يبدو فحدثت نفسي قائلا : يبدو أنها مقبرة فرعونية ونفضت الغبار من على التابوت فوجدت بعض الكلمات المنقوشة علية ولكنها تبدو باللغة العبرية وليست باللغة الهيروغليفية

كما كنت اتوقع وفتحت التابوت في حذر فإذا بضوء خفيف يخرج منه مصحوبا برائحة المسك الجميلة ملأت نفسي بالراحة والاطمئنان واضاءت المكان ووجدت مجموعة من الالواح الخشبية مكتوب عليها باللغة العبرية بعضها مهشمة ووجدت أيضا عصا قديمة من جزع شجرة وبجوارها لفافات من الجلد تشبه الرسائل القديمة ملفوفة على بعضها ، تعجبت من هذه الاشياء وقلت في نفسي : هل هذا هو الكنز ! عصا ومجموعة الواح ورسائل، ترى ما أهمية هذه الأشياء حتى يحتفظ بها صاحبها في غرفة مثل هذه تحت الارض ويغلق عليها هكذا !

ربما قد يكون لها اهمية لم اعرفها .. ولابد أن السر يكمن في هذه اللفائف، بالفعل اخذت اللفائف وأعدت العصا إلى التابوت واغلقته كما كان ثم تسلقت الدرج الخشبي وخرجت من القبو والحفرة وتوجهت الى غرفتي وفتحت حاسوبي واخذ أبحث عن ترجمة باللغة العبرية تساعدني في ترجمة هذه الرسائل وكان مكتوب فيها..

مخطوطة الكاهن آصف ابن يعقوب

٥٨٩ ق.م

بسم الإله القدوس رب الملائكة والروح ورب موسى وابراهيم وإله الخلق اجمعين

ادون هذه الرسالة قبل ان يسبقني القدر ويجمعني القبر ويضيع السر في طي النسيان . لقد عهد الرب لي بحفظ تابوته تابوت العهد الذي انزله الله على آدم واعاد صنعه النبي موسى الكليم وظل شاهد على ما يدور في الارض على مر العصور ، فقد وفقني الرب بحفظه بعدما ما كاد ان يهلكه الهالكون او يعبث به العابثون وقمت بحمله من بيت المقدس الى مصر خير البلاد ومهد الأجداد التي فيها ولد موسى الكليم وعلى ارضها عاش يعقوب ويوسف وبني اسرائيل قبل ان يخرجوا منها فارين من بطش فرعون.. وها انا قد وضعته في هذا المكان وانا موقن تمام اليقين بان الله سوف يحفظه الى ان يأتي ولي اخر الزمان الذي تدنوا له جميع البلاد وينشر العدل والسلام في كل مكان ويستخرجه وينتصر ببركته وبركة ما فيه من رحمة وسكينة وبقية ما ترك آل موسى وهارون ورأيت انه من الافضل تدوين قصة هذا التابوت حتى تكون دليل على صدق ما اقول وشاهد على ما وقع من احداث

فبعد خروج موسى من مصر ومن معه من بني إسرائيل عن طريق البحر الذي أمر الرب موسى أن يضربه بعصاه فانفلق نصفين عن يمين وشمال في ذهول أمام أنظار بني إسرائيل وفرعون الذي أصر على غروره وتكبره بملاحقة موسى على الرغم مما رأى من المعجزات والآيات البينات فلقي حتفه هو وجنوده غرقاً وهنا

فقط علم أن موسى كان على حق وأن ربه هو الإله الحق ولكن بعد فوات الأوان وهذا مثال لكل انسان يتجبر ويظلم في الارض حتى اذا جاءت الحظة الاخيرة تاب واستغفر ولكن هيهات هيهات فقد فات ما فات ، فمن عدالة الرب . أن من يظلم ويتجبر كثيرا في حياته لا تُكتب له التوبة قبل مماته ..

وما إن نجا موسى ومن معه من بني إسرائيل الذين لم يقدروا حجم هذه المعجزات ورحمة الله بهم فراحوا يبحثون عن إله مادي يعبدونه فعبدوا العجل وجحدوا نعم الله بعد أن سخر لهم السحاب تظلهم اينما ساروا وينزل لهم المن والسلوى يجدونه ميسورا على الارض في كل صباح وكان موسى يفجر لهم الآبار اينما حلوا او ارتحلوا ومع كل هذه النعم وبعد كل ما رأوه م من معجزات طلبوا رؤية الله وقعدوا عن الجهاد في سبيل الله وخذلوا نبيهم فابتلاهم الرب بالتيه في الصحراء أربعين عاماً ينتقلون من مكان لآخر حاملين معهم تابوت العهد الذي وضع فيه موسى الواح التوراة وعصاه المباركة وقليل من طعام المن الذي كان ينزله الله لهم اثناء رحلتهم ويحملون ايضا خيمة الاجتماع التي كان يؤدى فيها موسى وهارون الصلوات والعبادات ويفصل فيها في الأمور والقضايا الهامة لبني إسرائيل حتى توفي هارون ومن بعده موسى وتولى الأمر من بعدهم يوشع بن نون قائد الجيش الذي عاش في صحبة نبي الله موسى من الصبى وكان هو فتاه الذي ذهب معه في رحلة التعلم من الخضر ذلك العبد والنبي الصالح الذي أتاه الله من علم الغيب ما لم يأتي أحد وكان من بركته أنه اذا جلس في مكان اخضر وازهر ولذلك سُمي بالخضر، وكان يوشع بن نون أحد الرجلان الذين انعم الله عليهم بالإيمان واليقين وارسلهم موسى لمراقبة القوم الجبارين ولما عادوا قالوا لقومهم .ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين .وحرروا الأرض المقدسة ولكنهم نكسوا رؤوسهم وفضلوا القعود على الجهاد مع موسى فابتلاهم الرب بالتيه في الارض وأيد الله يوشع بالنبوة وتولى امر بني إسرائيل وأخذ يجهز الجيش لمهاجمة الكنعانيين وفتح الأرض المقدسة كما وعدهم الله وهاجموهم بيد قوية واقتحموا الاسوار في حرب لم تطل ونصرهم الله ودخلوا الأرض المقدسة وكسروا الأصنام التي كان يعبدونها الكنعانيون وأقام يوشع خيمة الاجتماع والمذبح ووضع فيها تابوت العهد وفيه الواح التوراة وعصى موسى الخارقة ومع مرور الايام والسنين مات يوشع وجاء من بعده ملوك اخرون وانبياء وكان الملوك دائما يقدسون انبياءهم ويأخذون منهم وحي الله واوامره ويطبقونها وكانوا اذا هادمهم عدو يخرجون لهم ومعهم التابوت ويدعون الله ويقاتلون فينصرهم على عدوهم حتى أن الرجل منهم كان ينثر البذور على ارض حجرية فتنبت بفضل الله ومع مرور الزمن اتسعت ممالك بني اسرائيل وانحرفت عن عبادة الله وكل مملكة اتخذت لها صنما الى ان جاء ملك اسمه أحاب وكان يسمع من النبي إلياس ويصدقه ويطبق ما اوحي إليه إلى ان جاء يوم وانقلب على الياس وترك عبادة الله وفعل مثل باقي الممالك واتخذ صنما

واثناء ذلك العهد هجم عليهم جالوت وقومه فخرجوا لهم ومعهم التابوت فهزمهم جالوت وسلب منهم التابوت وأسر منهم الكثير من الرجال والنساء واخرجوهم من ديارهم واخذوا ابنائهم للخدمة ..وكان ذلك جزاء انحرافهم عن عبادة الله ورفض ما جاء به انبياءهم .. فذهبوا الى نبيهم في ذلك الوقت وكان اسمه شموئيل بن بالي بن علقمة وبينما هو جالس في صومعته اجتمع جمع من كبراء اسباط بني اسرائيل يطلبون منه أن يولي عليهم ملك منهم يقودهم لمحاربة جالوت وجنوده وكان الله يعلم تقاعسهم وانحرافاتهم ونقضهم للعهود فأراد ان يستخلص من يصلح منهم للقتال . فلما ذهب جمع من كبرائهم الى النبي شموئيل يطلبون منه أن يدعو الله أن يولي عليهم ملك يقودهم إلى قتال جالوت وقومه فدعا الله بذلك فأوحى الله إليه انه سيطرق بابك رجل فهذا هو من ملكه الله عليهم فادهن رأسه بالدهن المقدس وولّه عليهم .

وكان طالوت رجلا صالحا قوي البنية وعلى قدر من العلم ولديه اغنام وقد ضلت احداهما فذهب يبحث عن ضالته وكان ماراً ببيت نبي الله شموئيل فراح يطرق بابه ليسأله إن كان رأى الدابة فأدخله النبي شموئيل ودهن رأسه بالدهن المقدس واخبره بأن الله اختاره ملك على بني إسرائيل وأمره بقتال جالوت وجنوده وكان طالوت من بني اسرائيل ولكنه من سبط بنيامين وهؤلاء في عُرف بني اسرائيل لا ملك لهم ولا نبوة ولم يكن من كبار القوم ولا من الاغنياء فكان يعمل ويأكل من عمل يده فاعترض كبراء بنوا اسرائيل على هذا الاختيار وطلبوا من النبي شموئيل أن ينصب عليهم أحد كبرائهم فأخبرهم بأن الله اختاره عليهم وزاده عليهم درجة من العلم والجسم فطلبوا منه آية على صدق حديثه كعادتهم في الجدال دائما، فدعا الله فأوحى اليه الله أن آية ملكه عليهم أن الله سيرد لهم تابوت العهد الذي قد سلب منهم تحمله الملائكة.. انتشر الخبر بين الناس وراحوا يتساءلون هل يعقل أن يحدث ذلك ..

كان من جالوت وجندوه عندما هزموا بني اسرائيل وسلبوا منهم التابوت واسر الكثير من رجالهم ونسائهم قام بوضع التابوت في معبد اسفل قدم الصنم الأكبر الذي يعبدونه ولكنهم في الصباح تفاجأوا بأن الصنم تكسر فذهبوا به في قرية مجاورة فأصاب اهل القرية امراض وأوجاع فخافوا من أن يكون هذا التابوت سبب هلاكهم فقال كبراؤهم : ردوه الى بني اسرائيل قبل ان يهلكم . فوضعوه على عربة صغيرة يجرها ثورين ووجهوها ناحية بلاد بني إسرائيل فنزل ملكين ذهبوا بالعربة إلى بني اسرائيل بينما هم في ذهول وعدم تصديق لما اخبر به النبي شموئيل جاءهم التابوت تحمله الملائكة وتزامن مجيئ التابوت مع بشارة النبي شموئيل لبني إسرائيل دلالة على تولي طالوت الملك عليهم وفي هذه الليلة اجتمع الرجال والنساء والاطفال وقد غابت الشمس في مغربها وبعضهم يحمل شعلات النار لتضيء المكان في ترقب لقدوم التابوت الذي تحمله الملائكة وفي مشهد عظيم جاء التابوت على ظهر العربة وخروا سجداً لله ..

كان طالوت يعرف بني اسرائيل جيداً فكثيرا ما يتكلمون ثم ينقضون عهودهم كما فعلوا مع نبي الله موسى وقعدوا عن الحرب وهاهم يتململون ويتهامسون فيما بينهم رافضين قيادة طالوت حتى بعد معجزة عودة التابوت ولكنهم لم يجدوا حجة في التراجع بعد ثبوت قول شموئيل برجوع التابوت وبعد أيام من تجهيز الجيش اتجهوا الى مكان القتال .. وفي الطريق لم يخفى على طالوت هذه الهمهمات بين الجيش من بعض المتقاعسين الذين يبثون الرعب والخوف في الجنود فأراد أن يقتلعهم من الجيش حتى لا يحدثوا الخلل بالهروب عند مواجهة جيش جالوت وفي الطريق وجدوا نهر صغير يجري فيه الماء العذب وكانوا قد ارهقهم السير واصابهم العطش فأراد طالوت ان يختبر عزيمتهم وطاعتهم لأوامر فأمرهم بأن لا يشرب احد من النهر وأن يكتفوا بغرفة ملئ اليد فأمتثل القليل منهم وجلس الباقون وأسرفوا في شراب الماء فأمرهم بالعودة واكمل الطريق بما معه من الجنود

وعندما تقابل الجيشين خرج جالوت يطلب المبارزة وكان ذو قوة وبأس فقال موجها كلامه لبني إسرائيل : أبرزوا إلي من يقاتلني ، فإن قتلني فلكم ملكي ، وإن قتلته فلي ملككم ! فأتي بداود إلى طالوت ، فقاضاه إن قتله أن ينكحه ابنته ، وأن يحكمه في ماله .وكان داود راعيًا أمينًا للغنم، كان يحب رعيته، ويسهر عليها، ويتعب من أجلها، وذات مرة عندما هجم أسد على القطيع تصدى له وقتله هذا الشاب الصغير بالرغم من جمال منظره؛ فقد كان شجاعًا قويًا ذا بأس،. ولم يكن داود مقاتلا ولكن كان قد أرسله والده ليطمئن على اخويه الذين كانوا يقاتلون مع طالوت فلما رأى جالوت المغرور يطلب المبارزة تشجع داود وطلب مبارزته فألبسه طالوت سلاحا ، فكره داود أن يقاتله بسلاح ، وقال : إن الله اذا أراد ان ينصرني عليه لم يغني السلاح ! فخرج إليه بالمقلاع ، وبمخلاة فيها أحجار ، ثم برز له ،

قال له جالوت : أنت تقاتلني ! قال داود : نعم .قال : ويلك ! ما خرجت إلا كما تخرج إلى الكلب بالمقلاع والحجارة ! لأبددن لحمك ، ولأطعمنه اليوم الطير والسباع ! فقال له داود : بل أنت عدو الله شر من الكلب ! فأخذ داود حجرا ورماه بالمقلاع ، فأصابت بين عينيه حتى نفذ في دماغه ، فصرع جالوت وانهزم من معه ،

ثم قال لطالوت : أعطني ما وعدتني فزوجه ابنته وملكه على بني إسرائيل واتاه الله النبوة بعد شموئيل بسبب تقواه وصلاحه وأتاه الله الملك والحكمة فأتى بالتابوت وسط احتفالات كبيرة في مدينة القدس وبنى المعبد ووضع التابوت فيه الى ان توفاه الله وتولى الملك من بعده سليمان الحكيم وهزم المعارضين له من بني إسرائيل وأسر الجن وملكه الله امرهم وسخر له كل شيء حتى الريح تسير بأمره وبنى الهيكل ووضع فيه التابوت وقد جعلني كاتبه الخاص لما رآه مني من علم وعبادة وحكمة فقد عهد لي بأسراره وكتاباته الخاصة وفضائل الله عليه وكنت اكتبها له ويضعها في صندوق تحت كرسي ملكه ولم يعلم مكان هذا الصندوق سوى احد

العفاريت من الجن قد رآه خلسه وبعد هلاك سلميان اخرجت الشياطين الصندوق واضافوا الى الكتاب كلمات من السحر والكفر وعلموها للناس واخبروهم ان سليمان كان لديه كل هذه القوة والسيطرة والحكمة بالسحر والكفر فصدقهم الكثير من الناس وانقسم البعض الاخر ثم توالت الاحداث بعد وفاة النبي سليمان بعدما ملك الدنيا وفي ظل مال آل له بيت المقدس وبني اسرائيل من انقسامات وتخريب وكان قد عهد لأبي الكاهن بريخا بالقيام على شؤون المعبد وحفظ التابوت وكان من اكبر خدام المعبد وقد اوصاني بهذا الامر من بعده ولكن مع شدة الاختلافات والنزاعات بين طوائف بني اسرائيل وانقسامهم وانحرافهم عن شريعة الله علمت بأن الخراب قادم الى بيت المقدس لا محالة وهذا ما حدث بالفعل لقد سلط الله عليهم الملك البابلي نبوخذ نصر البابلي الذي ملك الدنيا في زمنه وهزم جيوش الفراعنة والسومريين وهزم اورشليم ودمر بيت المقدس وهدم الهيكل واسر الكثير من بني إسرائيل من بينهم النبي دانيال نبي بني إسرائيل في ذلك الوقت وجعله يعمل في قصره وكان نبوخذ نصر قد رأى حلما ازعجه فطلب من مستشاريه من السحرة والمُنّجمين ان يطلعوا على ذلك الحلم ويفسروه ولكن بدون ان يُفصح لهم عن حلمه وإلا سيكون مصيرهم القتل ، فعلم دنيال بهذا الامر ودعا ربه ان يكشف له حلم نبوخذنصر فكشفه الله له وعلم تفسيره وقال للملك : إنك رأيت تمثالا كبير رأسه من ذهب وصدره وذراعه من فضة وجزعه وفخذه من برونز وساقه من حديد وصلصال وتأتي صخرة تضرب الساق التي من صلصال فتتحطم ويتحطم التمثال كله ومعنى ذلك أيها الملك العظيم انك قد ملكت الدنيا وهزمت كل الأمم فأنت الرأس الذهب ثم يخلفك ملك اقل درجة وهو الجزء الفضي من التمثال ثم ملك اقل درجة وهو الجزء البرونزي ثم يخلفه ملك قوي مثل الحديد ولكن عقله من طين وسوف يهزم وتهدم المملكة ويتفرق الملك ، فأعجب الملك بالنبي دانيال وقربه منه وجعله من كبار مستشاريه ومع مرور السنين تحققت نبوءة دنيال .

رأيت أن احتفظت بالتابوت قبل هلاكه واذهب به الى مكان آمن إلى ان تستقر الامور في بيت المقدس، فذهبت به الى مصر وكان ابي قد اخبرني بسر من اسرار هذا التابوت المبارك ومعجزاته اخبرني بأن هذا التابوت متصل بالعالم الاخر ؛ عالم الارواح وشاهد على كل الأزمنة بحيث بإمكانه التنقل بصاحبه عبر الزمن حيث ان من يرقد فيه ويغمض عينيه يذهب بروحه الى اي مكان وزمان يريد

وقد جربت ذلك مرتين في السابق مرة عندما زرت والدك وأخبرته بوجود الكنز وكنت اقصد التابوت فلم يصدقني والمرة الاخرى عندما رأيتني في المقابر وجئتك في المساء في بيتك .. وربما نتقابل مرة اخرى والله اعلم ولكن في عالم اخر !.

كاتب النبي سليمان آصف بن بريخا.

اضطرب ادهم قليلا وهو يقرأ ترجمة اللفائف وخاصة عندما علم ان التابوت الذي وجده اسفل بيته قد يكون هو تابوت العهد الذي قرأ عنه في بعض الكتب التاريخية والذي امر بصنعه موسى النبي والاغرب من ذلك هذا السر العجيب الذي ذكره الكاهن آصف ابن بريخا عن قدرة التابوت على التنقل عبر الازمنة ، ولما لا وقد كان هذا الكاهن على علم كبير من الكتاب كما قرأت عنه وكان يعلم اسم الله الاعظم وجعله النبي سليمان كاتبه الخاص، وورد ذكره في القرآن عندما طلب سليمان من احدهم ان يأتي بعرش الملكة بلقيس ملكة سبأ فعرض عليه عفريت من الجن ان يأتيه بالعرش قبل ان ينتهي من مجلسه بينما عرض عليه الكاهن آصف ابن بريخا أن يأتيه بالعرش في لحظات وذلك لكثرة حكمته وعبادته وعلمه بإسم الله الاعظم الذي إذا دعي به أجاب ولكن النبي سليمان تفوق على الاثنين بمقام النبوة حيث أن الله قد وهبه من الملك والحكمة والقدرة مالم يملكه أحد في العالمين حيث سخر له الريح تحمله وتسير بأمره حيث ما يريد وملكه أمر الجن واتاه الحكمة وعلمه جميع اللغات حتى لغة الحيوانات والطيور والحشرات فبمجرد ان نظر بجانبه وجد عرش الملكة بلقيس عنده فحمد الله.

وراح يسأل نفسه هل يعقل ان يكون ذلك حقا !؟ ولما لا وكل الشواهد والدلائل تقول بصدق رسالة هذا الكاهن وها هو التابوت يحمل بداخله الواح التوراة التي انزلها الله على موسى وعصاه الخارقة التي شق بها البحر والسكينة التي ذكرتها الكتب السماوية وغمرت قلبي عندما فتحت التابوت لأول مرة .. ترى ماذا تكون هذه السكينة !؟ الكثير من العلماء اختلفوا في وصفها وماهيتها ! ربما تكون هي السر ذاته ! والأغرب من ذلك أن الكاهن قد ذكرني وذكر المرتين الذي جاء فيهم عبر الزمن وقابلته حقا ولطالما شعرت بغرابة هذا الرجل حتى في ظهوره واختفاءه وهيأته لم يكن طبيعيا بالمرة !

كان ادهم شاب محب للقراءة والمطالعة وخاصة الكتب والروايات التاريخية واخبار الامم السابقة وكثيرا ما كانت تحدثه نفسه برؤية هذه الامم والحضارات السابقة ولكنه دائما كان يكتفي بالتخيل والتعايش مع احداث الكتاب فقط نظرا لاستحالة حدوث ذلك بالطبع.. ولكن الان وبعد ما رأى التابوت وقرأ الرسالة بدا له الامر ممكنا وكان قد قرأ الكثير عن البوابات الزمنية والرحلات عبر الزمن ولكن لم يكن يؤمن يوما بوجودها ولكنه الان بدا يتقبل الأمر وزادت لديه الرغبة في خوض التجربة وكل ما عليه فعله هو ان يرقد في التابوت ويقرر إلى أي زمان يريد ان يذهب ويسلم امره لله وينظر ماذا سيحدث.

أدهم

انتهيت من ترجمة اللفائف وانا في ذهول مما قرأت .. وروحت أتحسس وجهي لأتأكد من أني لست نائما اواني في حلم .. ورحت اسال نفسي: هل ما قراته صحيحا ؟ هذا يعني أن الشيخ الغريب لم يكن من زمننا إنما هو الكاهن آصف بن بريخا العالم العابد وكاتب النبي سليمان وذلك يعني انه قد خاض رحلتين الى المستقبل عبر التابوت ليظهر في المرة الأولى لأبي ويظهر لي في المرة الثانية كما قال في الرسائل ليرشدني للبحث عن التابوت !

فقلت لنفسي : وهل يعقل ذلك ؟! لقد ظننت انها قصة خيالية أو اضغاث احلام ولكني سألت نفسي : إذا لم يكن هذا حقا فمن يكون هذا الشيخ الغريب ؟ وما تفسير هذه الرؤيا التي تكررت وقد تحقق كل ما قاله وعثرت على التابوت وفيه رسائله التي ذكر فيها كل شيء !

لماذا كل هذه الحيرة كل ما عليك فعله الان ان تتخذ القرار وتتوجه إلى التابوت وتجرب بنفسك ولن تخسر شيء على كل حال .

وبالفعل توجهت الى القبو الذي فيه التابوت وهبطت على السلم الخشبي ورفعت غطاء التابوت وقلت بسم الله رغم رهبتي وملأتني السكينة ورائحته العطرة وشعرت بأن يجذبني إليه فرقدت بجسدي فيه واغلقت غطاء التابوت ثم اغمضت عيني فشعرت بأني أهيم في السماء مثل طائر أو كأن شيئا يحملني ويطير بي في سرعة وخفة بين السماوات النجوم المتلألئة ودخل بي في ممر اسطواني الشكل يشبه الثقب الاسود ذات بوابات دائرية مضيئة متتالية وكأنها نفق طويل في ظلمة السماء وكأنها بوابات زمنية وما أن عبرت هذا الممر وكأن العالم تبدل وجدت نفسي في ..

بداية الخلق .

قبل خلق آدم بخمسين ألف سنة.

وجدت نفسي في مكان من الأرض وقد بدت مظلمة من كثرة الفساد والقتل بين طوائف الجن من الشياطين والعفاريت ومردة الجن واتباعهم وقد تمردوا على اباهم ابليس الذي كان اعقلهم واكثرهم عبادة وايمانا في ذلك الوقت ولما بلغ الفساد مبلغه أرسل الله الملائكة تزجرهم وتعذبهم وتطردهم فهربوا إلى الجزر والبحار والمستنقعات ورُفع إبليس الى السماء مع الملائكة .. فاراد الله ان يورث الأرض خلقا آخر غير الجن المجرمين والملائكة المطهرين ،

خلق يجمع بين العلم والرحمة ، يجمع بين العقل والفتنة ، يجمع بين الحرية والاختيار ،جسده من الارض وروحه من السماء . فلما خلق الله هذا الجسد وسواه من طين الصلصال من التراب والماء ولم ينقصه سوى نفخة الروح .. رأت الملائكة هذا المخلوق الغريب فتعجبوا منه وسألوا ربهم فقال : إني جاعل في الارض خليفة.

فقالوا مستعلمين : أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟

وذلك بعد ما وقع من فساد وقتل من الجن عندما كانوا يسكنون الأرض قبل أن يُطردوا منها الى شعاب الجبال والبحار .

فرد الله عليهم بقوله : إني أعلم مالا تعلمون ، فإن الله يعلم أن هذا المخلوق على الرغم من ارتكابه للمفاسد والأخطاء إلا أنه سوف يكون منه الانبياء والرسل والعلماء والصديقين والصالحين وأن الخير فيهم سيكون اكثر من الشر وسوف يعمرون الارض ويكتشفون ويتعلمون ويخطئون ويصيبون ويكون لهم حرية الاختيار والابداع والتفكير واعمال العقل ، وهذا هو ما يريده الله . إن الله يريد العبد الذي يطيعه ويختاره ويحبه رغم ما يحيط به من فتن ومغريات وشهوات ..فهذا الانسان الطائع المخلص المحب رغم الفتن والشدائد التي يمر بها افضل عند الله من الملائكة المعصومين من الذلل .

عندما علم ابليس بذلك شعر بالغيرة والحقد وراح يطوف في السماء حتى عثر على جثمان آدم وراح ينظر إليه في سخرية واحتقار ويقول : أهذا أنت أيها الاجوف الطيني سوف تخلف الله في الارض من بعدي .. هل هذا هو الذي افضل مني ومن امتي وانا من النار وهو من طين لا فائدة منه .

فلما نفخ الله الروح في آدم وأصبح كائنا حيا فسجدت له الملائكة جميعا كما امرهم ربهم سجود تحية وإكرام وطاعة لأمر ربهم ولكن ابليس الوحيد الذي ظل واقفا ولم يسجد من بين جموع الملائكة في مشهد اغضب الله فقال الله له : لما لم تسجد وقد أمرت بذلك ؟ قال : لا اسجد له وانا خير منه وأكبر سناً وأقوى خلقا ، خلقتني من نار وخلقته من طين ..

لقد حمله الحقد والكِبر بعدما رفعه الله الى السماء وظن أنه افضل المخلوقات وهذا دأب الكثير من الخلق إذا أكرمه الله ورفع من شأنه تكبر وتجبر ونسي فضل الله عليه

فلعنه الله وطرده من رحمته جزاءً على غروره وتكبره وعصيانه فتمرد ابليس واقسم ان يفتن آدم وذريته، وأسكن الله آدم الجنة ولكن آدم كان يشعر بالوحشة والوحدة ، وذات يوم شعر آدم بالنعاس فنام فخلق الله من ضلعه زوجته فلما استفاق

من نومه وجدها تجلس بجواره فقال لها : من انت ؟ قالت : انا امرأة خلقني الله منك لتسكن إلي . فسماها حواء لأنها خلقت منه وهو حي . وأكرمهم الله بالعيش الرغد في الجنة بدون شقاء ولا عناء والاكل من ثمار الجنة ماعدا شجرة واحدة أمرهم بأن لا يأكلوا منها ، وفي ذلك اختباراً لهم وتعليم

وذات يوم جاءهم ابليس يوسوس اليهم ويغويهم بالأكل من الشجرة التي نهاهم الله عنها وقال لهم : لقد نهاكما ربكما عن هذه الشجرة حتى لا تصبحا من الملائكة او تكونا من الخالدين انا اقدم منكم في الجنة وعلى علم بذلك واقسم لكم اني لكما لمن الناصحين .

فأكلت حواء وقالت لآدم : كل فأنا اكلت ولم يحدث شيء ،

فنسي آدم أمر الله له وأكل من الشجرة ، فامتلأت بطونهم بالفضلات والغازات التي احدثتها تلك الثمار التي أكلوها من الشجرة على عكس ثمار الجنة التي لا تترك فضالات ولا غازات إنما هذه الشجرة كانت اختبار وقد نهاهم الله عنها، فتعجبوا من ذلك وخاصة انه وضع غريب عليهم، ولكنهم سقطوا في الامتحان وصدقوا ابليس اللعين ، فتغوطوا وتبولوا فظهرت لهم عورتاهم واستاؤوا منها وتحرجوا فاستتروا وراحوا يغطون عوراتهم بأوراق الشجر .

.وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين * قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين * قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين * قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون .

الهبوط الى الارض

وبعد فترة تبدل المشهد ورأيت نفسي في مكان جميل تزينه الطبيعية ولم تلوثه آثام البشر حيث الهواء النقي في وادي يكسوه الخضار وتناثرت فيه الاشجار والنباتات ويجري فيه نهر صغير ، يغشاه الهدوء والسكينة وكأنه روضة من روضات الجنان، بينما كان يجلس شاب جميل الوجه هادئ الطبع ويرتدي ثياب غريبة مصنوعة من اوراق الشجر وبجواره مجموعة من الاغنام ترعى وتأكل في مرح . وسألت نفسي : ترى اين اكون! وماهذا المكان الجميل؟ ذهبت اسأل الراعي : السلام عليكم .. لكن الراعي لم يلتفت لي وكأنه لم يراني حتى ان الاغنام لم تلتفت لي ولن تتحرك عندما سرت بجوارها.. وكأنني غير ظاهرا لهم ! ثم تذكرت اني موجود بروحي فقط مثلما اخبر الراهب في مخطوطته . حسنا لنستكشف المكان الجميل في صمت ورحت اتأمل طبيعة المكان الذي مازال يبدو على طبيعته واقتربت من الراعي ذو الملابس الغريبة وفجأة ظهرت فتاة جميلة في ثياب بدائية

ايضا من اوراق الشجر من خلف الصخور حيث الطريق الصغير المؤدي الى وادي اوسع قليلا وفيه كهف قد اتخذته هذه الأسرة مأوى لهم . وكانت توجد امرأة جميلة تعد الطعام وبنتين في سن الشباب ورجل ذو بشرة سمراء يجلس على مدخل الكهف وكان اكبرهم سنا على ما يبدو انه آدم وكانت الفتاة تنادي بصوت مسموع : يا هابيل هيا تعالى لتتناول الطعام

فرد عليها قائلا : حسنا اني قادم يا اختاه .

هابيل ! ..تعجبت من هذا الاسم وهذا المكان وتلك الملابس الغريبة وذلك الرجل الاسمر فأدركت اني في عصر بداية البشرية حيث هبط آدم وحواء

وبينما كان هابيل يهيئ نفسه للعودة الى المنزل ويجمع لتناول الطعام اقبل عليه شاب في مثل سنه او يكبره بعام وكان كمن فرغ من عمله للتو ويحمل بعض النباتات، يبدو من هيئته انه يعمل في الزراعة وراح يحدث هابيل : كيف كان يومك .

فقال هابيل : الحمدلله يا اخي قابيل، الرعي كان جيد اليوم والاغنام اكلت كثيرا وتبدو بصحة جيدة ؛ كيف كان عملك اليوم ؟

أجابه قابيل: الامور تسير على ما يرام.

فقال هابيل : ترى متى يأذن لنا ابي بالزواج وعلى اي نحو سوف يحدث ذلك ؟

فبدا الغضب على وجه قابيل وقال بحدة : لا اعلم لندع الأمر في حينه .

تعجب هابيل من غضبه وقال : لكني قد سمعت اباك يحدث امك سابقا ان الله اوحى إليه أن يزوج ذكر التوأم بأنثى التوأم الاخر وبذلك اتزوج انا اختك وانت تتزوج اختي .

يبدو ان قابيل كان قد سمع ذلك ايضا ولذلك غضب ولم يعقب على قول هابيل واكتفى بالصمت .

وبعد تناول الطعام جلس قابيل على مقربة من الكهف ويبدو انه يفكر في أمر الزواج هذا ولطالما كان يحب اخته ولكن الان قد يتفرقا بسبب اخيه هابيل ..وكان ابليس يراقب الامر عندما وجد فرصة للوقيعة بينهم فلم يكتفي بخروج ادم وزوجته من الجنة فقد أقسم ان يفتنهم وذريتهم الى ان تقوم الساعة إذا ما وجد إلى ذلك سبيلا وراح يوسوس له قائلا : ترى لماذا أباك دائما يفضل هابيل عليك ، حتى في العمل اعطاه هو رعي الاغنام ذلك العمل السهل واعطاك انت العمل الشاق في الحرث والزراعة ، والان ايضا يريد ان يزوجه اختك الجميلة وانت تتزوج اخته الدميمة؛ لماذا لا يفضلك انت وانت اكبر منه واول أبنائه ، عليك ان لا تقبل بذلك فأنت اولى بأختك منه.

في المساء اجتمع آدم وبنيه وأخبرهم بأن يستعدوا للزواج بعد بلوغهم سن الشباب وسوف يتزوج قابيل من اخت هابيل ويتزوج هابيل من اخت قابيل . ولكن قابيل اعترض على قول ابيه وقال : اسمح لي يا ابي ان اتزوج بأختي فأنا احق بها من هابيل . رد عليه ادم : لا يجوز ان يتزوج الاخ من اخته .

قال قابيل : لكن انا لا اقبل ان يتزوج هو اختي الجميلة واتزوج انا اخته الدميمة .

غضب آدم وقال : حسنا لنترك الامر لله ولنرى ما سوف يحدث ، على كل واحد منكم ان يقدم قربانا لله وننظر اي قربان سوف يتقبله الله وعليه يتزوج الفتاة .

وفي اليوم التالي خرج كل منهم الى عمله وعاد كل واحد بقربان ليقدمه لله وعندما رجعوا الى الكهف في اخر اليوم صعد بهم آدم الى قمة جبل وكان هابيل قد احضر كبشاً من اجود ما عنده من الغنم وقدم قابيل حزمة من سنابل القمح الرديء فنزلت نار من السماء اخذت الكبش الذي قدمه هابيل وتركت قربان قابيل الذي شعر بالغضب فأمر آدم بأن هابيل يتزوج اخت قابيل وقابيل يتزوج اخت هابيل..

وفي اليوم التالي ذهب هابيل إلى عمله ولكن قابيل تبعه إلى الوادي الذي يرعى فيه هابيل غنمه وقد اعماه غضب وقال له : أراك سعيدا بعدما قبل الله منك قربانك ورد علي قرباني .. هل تظن انك افضل مني أو أني سوف اسمح لك بالزواج من اختي ؟ لا لن اقبل مهما حدث ولسوف اقتلك الان.

فقال له أخوه: وما ذنبي؟ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ . وخوفه بالنار وعاقبة الاثم وقال له: لئن بسطت إلي يدم لتقتلني ما انا بباسط يدي إليك لأقتلك إني اخاف الله رب العالمين. إني اريد ان تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين. فاشتعل قابيل غضبا ولم يتراجع وشجعته نفسه على قتل أخيه ولكنه لا يعرف كيف يقتله .. فتمثل له ابليس على هيئة طائر وأخذ طائرا اخر وضربه في رأسه فمات .. فذهب قابيل واخذ حجرا وضرب به رأس هابيل فمات.

ثم مكث قليلا ينظر إلى جثة اخيه الملقاة على الارض في ذهول غير مصدق ما حدث وكأنه بدى يشعر بالندم بعد خمود نار الغضب التي كانت تجتاحه ولكن ما فائدة الندم الأن فقد انتهى الأمر، فهّم بالرحيل تاركاً جثة أخيه في العراء ولكن لاحظ مجيئ بعض الطيور والسباع وقد اجتمعت تنتظر رحيله لتنهش جثة اخيه فتأفف في حزن من أن يترك جثة اخيه تأكلها الطيور والحيوانات وعاد مسرعاً في خجل وندم يضم جثة اخاه ويبكي على فعلته، ولكن لا يدري ماذا يفعل في فظهر له غراب يحفر في الارض ليدفن غراب ميت ملقي بجواره ثم حث عليه التراب فقال قابيل في ألم وحسرة : يا ويلاتاه أعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي . ثم قام وحفر حفرة ووضع فيها جثة اخيه وحثا عليه التراب .

وكانت هذه اول جريمة قتل بين البشر تحدث على وجه الارض كل هذا رأيته أمام عيني وياليتني كنت استطيع التدخل فأقول له لا تتبع ابليس وتفعل هذا بأخيك فلا شيء في هذه الحياة يساوي قتل النفس ،لا تسن هذه السنة المتوحشة. ولكن يبدو انه قدر علينا ان نكون مشاهدين فقط .

انتهت الرحلة وفي لحظات فتحت عيني على ظلام وجدت نفسي في التابوت ثم رفعت غطاءه وخرجت وانا في تعجب مما رأيت من احداث وشخصيات ولا أعلم كم من الوقت مر على وانا في التابوت وما كان يدور بعقلي سوى لحظة مقتل هابيل على يد أخيه ورحت اسأل نفسي ترى لماذا يختلف والبشر ويتقاتلون وهم في الاساس اخوة من نسل آدم وحواء ؟ ولكن بما أن الأخ الاول قتل اخاه فلا عجب في ان تتقاتل الذرية .

في اليوم التالي صليت الفجر وتناولت الافطار الذي كان عبارة عن طبق من الفول وحبات الطعمية الساخنة التي اشتريته وانا عائد من المسجد واخذت اراجع الأحداث واشعر كأني كنت في حلم عجيب ومع ذلك لقد ملأتني هذه المشاهد والاحداث بالشغف والرغبة في خوض التجربة مرة اخرى والغوص في اعماق التاريخ وبداية البشرية ، وبالفعل هيأت نفسي لخوض رحلة جديدة ولكن ترى إلى اين سوف يذهب بي التابوت هذه المرة !

ونزلت القبو الذي في التابوت وما ان رفعت الغطاء وملان الضوء المنبعث من التابوت المكان وكأن شيئا ما يجذبني لدخول فيه وبالفعل رقدت بجسدي وما إن اغلقت الباب واغمضت عيني حتى شعرت وكأني اطير في السماء وعبرت ممر البوابات الزمنية ووجدت نفسي في..

ابو البشرية الثاني .

مكان أشبه بالمدن القديمة البدائية حيث البيوت الطينية البسيطة ذات الطابق الواحد والاسقف المصنوعة من جريد النخل والمغطاة بالقش ويتوسط المدينة ميدان نصبت فيه مجموعة تماثيل حجرية على هيئة اشخاص ومن حولها جمع من الناس يسجدون لها ويصلون بينما يجلس احد الرجال وحوله جمع من الناس يذكر لهم محاسن هؤلاء الآلهة وافعالهم الصالحة واخلاقهم التي جعلت الناس تجسد لهم التماثيل لكي يتذكرونهم دائما ويتقربون لهم ويقدمون لهم النذر والقرابين ويعبدونهم

، وروحت احدث نفسي قائلا: يبدو انني عدت إلى عصر قديم من عصور عبادة الاصنام ، ترى من هو نبي هذا العصر وماذا جرى له !

وبينما كنت اتجول في شوارع المدينة واراقب اهلها واستمع إليهم وبالطبع لا يراني أحد، لفت انتباهي تلك المرأة العجوز التي تجلس امام بيتها وبجلس بجانبها رجل يبدو انه ابنها يتحدثان في أمر ما وتبدو على وجوههم علامات الحسرة فجلست استمع لحديثهم لكي اتعرف اكثر على طبيعة المكان، بينما كانت المرأة تتكلم محدثتاً ابنها : ترى متى ينتهي هذا المجنون من عبثه وجنونه لقد جعلنا اضحوكة بين الناس .

ليرد الاخر: وأي جنون يا أماه إنه يدعي أنه نبي ارسله الله لهداية الناس وتركهم عبادة الآلهة وعبادة إلهه هو الذي لا يراه احد ولا احد يعرفه غيره.

العجوز : أي إله هذا الذي يرسل رجل مجنون مثل أبيك . والعجيب أنه لا يمل من ذلك ، منذ قرابة تسعمائة عام وهو يدعوا الناس ولا احد يستجيب له إلا القليل ممن هم على شاكلته من الفقراء واراذل القوم ، حتى صرنا محط سخرية القوم حتى ان الرجل اصبح يوصي أبنائه قبل موته بعدم تصديق نوح او مصاحبة ابنائه ، وصرنا منبوذين بين القوم بسبب جنونه وفقره .

بعد قليل حضر رجل جميل الوجه ذو لحية بيضاء يكسوه والوقار قد بلغ من العمر ارذله ومع ذلك فهو يبدو بصحة جيدة ويحمل في يده بعض ادوات النجارة وتبدو على وجهه علامات الحزن والتعب ، فألقى السلام على زوجته وابنه ودخل البيت ، فشعرت انه هو نوح عليه السلام فروحت اتطلع إليه واراقبه فوجدته يصلي ويدعوا ربه مهزوماً منكسراً باكياً ويكلم ربه وكأنه يقدم تقرير نهائي لربه بعد تسعمائة عام من العمل والدعوة فراح يقول :

. ربي إني دعوت قومي ليلاً نهاراً. فلم يزدهم دعائي إلا فرارا . وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ، ثم إني دعوتهم جهاراً ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا. يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموالٍ وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا..

ولكنهم عصوني وسخروا مني واستهزأوا بي واتبعوا اصحاب المال والنفوذ الماكرين الذين يدعونهم لعبادة الاصنام ويتربحون منهم القرابين والنذور التي يقدمونها إلى تماثيلهم . حتى انهم اوصوا ابناءهم بعبادة الاصنام وعدم اتباعي . لذلك اعترف لك يا ربي أني مغلوب على أمري فأنتصر عليهم . ربِ لا تذر على الارض من الكافرين ديارا. إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفارا ..

. ربِ اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات.. إن كنت قصرت في دعوتي لهم .

روحت احدث نفسي قائلا: تسعمائة عام او اكثر يا نوح وانت تدعوهم ليل نهار وتتحمل سخريتهم واستهزائهم بك حتى من أقرب الناس اليك زوجتك وابنك وانت لا تمل ولا تكل ومع ذلك تشعر بالتقصير يا لك من نبي عظيم .

لقد جاء الوحي إلى نوح بأن يصنع سفينة من الواح الشجر والمسامير وسوف نرشدك ونعلمك وسوف نساعدك على صناعتها حتى اذا جاء اليوم الموعود احمل فيها اتباعك واهلك إلا زوجتك إنها من الغارقين، ومن كل حيوان وطير زوجين .

وبالفعل بدأ نوح وأبنائه الثلاثة المؤمنين سام وحام ويافث واتباعه في بصنع السفينة بتعليمات وارشاد ووحي من الله وتخلف عنه ابنه الرابع يام وزوجته التي كانت تدعي دائما انه مجنون .

وظل نوح يعمل في بناء السفينة وكلما مر عليه نفر من قومه سخروا منه واستهزأوا به وقالوا له : تصنع سفينة ونحن في البحر هذا الذي امرك به ربك يا نوح ..ويضحكون ، ولكنه كان يتجاهلهم ويشفق على جهلهم بما ينتظرهم من الهلاك .

وبعد سنوات من العمل الشاق انتهى نوح من صنع السفينة وكانت سفينة كبيرة عظيمة صنعت بوحي من السماء وجاء اليوم الموعود .. يوم الطوفان العظيم والهلاك فبدأ نوح بحمل اتباعه من أبنائه وزوجاتهم واتباعه من المؤمنين وجمع كبير من ازواج الطيور والحيوانات وبعض الاطعمة الجافة التي تكفيهم لفترة طويلة وبدأ الطوفان وراحت السماء تصب الماء صباً وانفجرت الارض عيونا وظن الكافرين انها امطار وراحوا يحتمون بقمم الجبال فرأى نوح ابنه فأخذته شفقة الاب فناداه قائلا : يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين . قال : سآوي إلى جبلٍ يعصمني من الماء . قال لا عاصم اليوم من امر الله إلا من رحم . وحال بينهم الموج فكان من المغرقين . ورغم تكذيب ابنه له وكفره به راح نوح يدعو ربه طالبا من الله ان ينجي ابنه العاصي فقال : ربِ إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وانت احكم الحاكمين. فأوحى الله إليه . إنه ليس من اهلك إنه عمل غير صالح .. ان اهلك هم المؤمنين فاستغفر نوح ربه ومضت بهم السفينة في امواج شاهقة كالجبال برعاية من الله مائة وخمسون يوما إلى ان توقفت السماء عن المطر وجفت الارض من الماء الزائد وكانت السفينة مغلقة من الأعلى فتح نوح كوة واخرج منها حمامة فطارت وعادت بعد اسبوع بورقة زيتون في فمها فعلم نوح ان الطوفان قد انتهى الأرض قد تهيأت وطهرت من الكفار فهبط بسلام هو ومن معه من المؤمنين والطيور والحيوانات وأوقف الله النسل إلا من ابناء نوح الثلاثة سام وحام ويافث .وجعلنا ذريته هم الباقين . ومنهم انتشرت الامم من نسلهم فكان سام ابو العرب وحام ابو الحبش ويافث ابو الروم . وبذلك يعد النبي نوح أبو البشر الثاني بعد النبي آدم عليهم السلام .

ثم اظلم المكان من حولي وبذلك شعرت بإنتهاء الرحلة وخرجت من التابوت في ذهول مما رأيت من احداث واشخاص ومواقف لقد كانت رحلة مثيرة حقا .

بقيت اياما ادون كل ما رأيت في مذكراتي منعزلا عن الواقع وكنت لا اخرج من البيت إلا لأداء الصلاة في المسجد او شراء بعض الطعام حتى ان بعض الجيران ظنوا اني قد سافرت ، بعد ايام هيأت نفسي لخوض رحلة جديدة ولكن هذه المرة كنت خائف بعض الشيء من ان يمسني شيء من الجنون بسبب العزلة التي اصبحت فيها وهذا الواقع العجيب الذي اراه ولكن شغفي في خوض المغامرات جعلني اتغلب على خوفي وبالفعل ذهبت إلى القبو الذي وجدت فيه التابوت وما ان رقدت في التابوت واغلقت بابه فهامت روحي وعبرت الممر فوجدت نفسي في ..

ام موسى .

١٣٩٠ قبل الميلاد . مصر

مكان يشبه مصر الفرعونية حيث القصور الحجرية الكبيرة ذات الاعمدة والمسلات الشاهقة والتماثيل العجيبة.

وفي ليلة هادئة قام فرعون من نومه مفزوعا وأرسل في طلب الكهنة والعرافين موضحا لهم سبب طلبهم قائلا: لقد جمعتكم لأمر مهم وهو أني قد رأيت في الليلة الماضية مناما مزعجا واريد توضيحا له .

رد عليه كبير الكهنة قائلا: قُص علينا منامك يا مولاي وسوف نجتهد في توضيحه.

قال : رأيت ناراً قد خرجت من بيت المقدس وجاءت الى مصر واحرقت بيوت القبط وتركت بيوت بني اسرائيل ، ما ترون في ذلك ؟

تشاور الكهنة قليلا ثم قال كبيرهم :

تفسيره يا مولاي ان غلاماً سيخرج من بني إسرائيل يكون هلاكك وهلاك ملكك على يده .

تغير وجه فرعون *ودعا* مستشاريه ليستشيرهم الامر واستقر رأيه على ان يذبح كل مولود ذكر يولد في بني إسرائيل ويتركوا الإناث

كان بني اسرائيل يعيشون في مصر بعدما جاؤوا في عهد يوسف النبي واستقروا هناك ولكن مع مرور الزمن وتغير الملوك ضيق عليهم المصريين واتخذوا رجالهم عبيدا للخدمة والاعمال الشاقة والنساء جاريات وخدم

ومع مرور السنين قل عدد الرجال في بني إسرائيل بسبب ذبح الاطفال الذكور فدخل كبار القبط على فرعون وكلموه ، وقالوا : إن هؤلاء القوم قد وقع فيهم الموت فيوشك أن يقع العمل على غلماننا ، تذبح الصغار ويفني الكبار ، فلو أنك كتبت ان تبقي من أولادهم ، فأمرهم أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة ، فلما كان في تلك السنة التي تركوا فيها ولد هارون ، وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها ، فلما أرادت أمه وضعه حزنت من شأنه وخافت عليه ، فأوحى الله إليها وألهمها : أن ترضعه وتضعه في صندوق وتلقيه في النهر

فلما وضعته أرضعته ثم دعت نجارا فصنع له تابوتا ، وجعلت رضيعها فيه وألقته في النهر ، لقد سمعت الإيحاء وألقت بطفلها في الماء ، فلما توارى عنها وسوس لها إبليس ، فقالت في نفسها : ما الذي صنعت بنفسي وولدي ! لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحب إلي من أن ألقيه بيدي إلى حيتان البحر ودوابه ..ولكن أين هو الان يا ترى وماذا فعلت به الأمواج ؟ وراحت تحدث نفسها : كيف؟ ..كيف أمنت على فلذة كبدي أن أقذف بها في اليم ؟.. كيف فعلت ما لم تفعله أم من قبل ؟ ..كيف طلبت له السلامة في هذه المخافة ؟.. وكيف استسلمت لذلك الهاتف الغريب وألقيت في النهر ؟

وأصبح فؤاد الأم المسكينة فارغا لا عقل فيه ولا وعي ولا قدرة على نظر أو تصريف !

وكادت لتبدي به وتذيع أمرها في الناس ، وتهتف كالمجنونة : أنا التي أضعته.. أنا أضعت طفلي .. أنا من ألقيت به في اليم اتباعا لهاتف غريب !

إنها غريزة الامومة والرحمة والرابط الذي ربط الله به الاباء مع الابناء في كل المخلوقات ، لقد كانت في حالة يرثى لها ولكن انزل الله عليها رحمة وسكينة هبطت عليها ليربط الله على قلبها ويهدأ من روعها ، ومع ذلك قالت لأخته : يا مريم قصي أثره فتابعته من بعيد وهم لا يشعرون ، فأقبل الموج بالتابوت يرفعه مرة ويخفضه أخرى حتى أدخله بين أشجار عند قصر فرعون ، فخرج جواري آسية امرأة فرعون يغتسلن فوجدن التابوت فأخذنه إلى آسية ، وظنن أن فيه مالا ، فلما فتحوه ونظرت إليه آسية وقعت عليها رحمته ومحبة له ، فلما أخبرت به فرعون ، وأتته به قالت : قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا . فقال فرعون : يكون لك ، وأما أنا فلا حاجة لي فيه .

إن القدرة التي ترعاه تدبر أمره ، وتكيد به لفرعون نظير ظلمه لبني اسرائيل وتجبره بذبح الاطفال ؛ فتجعلهم يلتقطونه ، وتجعلهم يحبونه ، وتجعلهم يبحثون له عن مرضعة ترضعه ، وتحرم عليه المراضع ، لتدعهم يحتارون به ؛ وهو يرفض الثدي كلما عرضت عليه ، وهم يخشون عليه الموت أو الذبول ! حتى تبصر به أخته من بعيد ، فتعرفه وتتيح لها القدرة فرصة لهفتهم على مرضعة ، فتقول لهم : هل أدلكم على أهل بيت يرضعونه لكم وهم له ناصحون ؟ فيتلقفون كلماتها ، وهم يستبشرون ، يودون لو تصدق فينجو الطفل العزيز المحبوب فيعود الطفل الغائب لأمه الملهوفة . معافى في بدنه ، مرموقا في مكانته ، يحميه فرعون ، وترعاه امرأته ، بعدما كان شأنه ما بين ذبح او غرق ، اصبح من ابناء القصور والملوك ، انها قدرة الله التي ليس لها حدود

وكان غيبته عنها ثلاثة أيام ، وأخذته امه إلى قصر فرعون ، واتخذه فرعون ولدا فدعي ابن فرعون ، فلما تحرك الغلام حملته أمه إلى آسية ، فأخذته ترقصه وتلعب به وناولته فرعون ، فلما أخذه إليه قبض الغلام بلحيته فنتفها ، فخشي فرعون وقال : علي بالذباحين يذبحونه ، هو هذا الذي سيهلك ملكي على يده ! قالت له آسية : إنما هو صبي لا يعقل وإنما فعل هذا من جهل ، سوف أضع له حليا من ياقوت وجمرا من نار فإن أخذ الياقوتة فهو يعقل فاذبحه وإن أخذ الجمر فإنما هو صبي لا يفقه ، فأخرجت له ياقوتها ووضعت له طشتا من جمر فأخذ موسى جمرة وضعها في فمه ، فأحرقت لسانه ، فتركت اثر في لسانه لزمته الى الكبر. وبذلك اقتنع فرعون ورضي برأي زوجته

وكأن القدر أراد ان يقول لفرعون : إن الطفل الذي تخشاه وتقتل الاطفال خوفا على ملكك منه سوف تربيه انت.. وينشأ ويترعرع في قصرك. هكذا هي حكمة الله ، إذا أراد الله لك شيئا جاءك من حيث لا تحتسب..

فتحت عيني على ظلمة التابوت ادركت ان الرحلة قد انتهت وخرجت من التابوت بعد رحلة مثيرة في زمن فرعون وموسى رأيت فيها الكثير من الاحداث رؤية العين التي هي اعمق بكثير من السمع او القراءة لذلك ازدت يقينا وتأثرا بما مضى من ايمان ومعجزات شهد لها التاريخ وخلدتها الكتب السماوية ..

وفي اليوم التالي عدت الى حياتي مرة اخرى ولكني بدأت أشعر بالغربة أكثر من فرط ما رأيت من احداث وازمنة في هذا التابوت .. حقا إنه لهو الكنز الحقيقي.

لطالما كنت محبا للعزلة فهي الملجأ الآمن للنفس وخاصة لأنها تعلمك الاستغناء عن كل شيء.. وقد تمنحك متسع من الوقت للتفكر والقراءة والبحث .. وكنت دائما احب كتب التاريخ بكل فتراته واحداثه حتى في الدراسة حتى كانت مادة التاريخ هي

المفضلة لدي في ايام الدراسة ، ربما لأنه مليء بالقصص والاحداث والمغامرات ومن افضل القصص واكثرها اثارة وغموض فترة ظهور المسيح وما قبلها من احداث وصعوبات عاصرتها مريم وزكريا ويحي وعيسى عليهم السلام ، وكثيرا ما تمنيت ان اشاهد واعاصر هذه الفترة الزمنية واشاهد معجزاتها وفي اليوم التالي قررت خوض رحلة جديدة الى الماضي والتاريخ المثير واتجهت الى القبو وما ان وضعت نفسي في التابوت واغمضت عيني فهامت روحي في السماء وعبرت ممر البوابات فوجدت نفسي في ..

زكريا ويحيى

سنة ١٨ قبل الميلاد

في قرية الجليل بجوار بيت المقدس حيث الارض المباركة والطبيعة الهادئة والاشجار المتناثرة هنا وهناك، بينما كانت تجلس امرأة في الستين من عمرها تنظر بتأثر الى طائر يطعم فرخهُ .. لطالما تمنت ان تجرب هذا الإحساس احساس الامومة وتربية الأطفال وهي التي لا تنجب وعلى الرغم من هذا العمر الطويل كانت راضية بقضاء الله .لكنها في هذه اللحظة تمنت ان يكون لها ولزوجها عمران ذلك الرجل الصالح غلام يؤنس وحشتهما فتحرك قلبها ولسانها وناجت ربها وقالت : يا ربي وإلهي ارزقني بغلام صالح يملأ وحدتنا ويسعد قلوبنا وسوف اهبه لخدمتك وخدمة مبعدك المقدس ..

لقد سمع الله ندائها واستجاب لرغبتها وقبل نذرها نظرا لصلاحها وحسن ظنها وصلاح زوجها عمران ذلك الراهب الصالح الذي وهب نفسه لخدمة المعبد .

وبعد أيام ضجت المدينة بخبر حمل السيدة حنة زوجة عمران الرجل الصالح وخادم المعبد ..

وردد الناس: حقا انها معجزة ،

واي معجزة! فقد كان اليهود ينتظرون ولادة المسيح المخلص الذي يخلص الناس من الظلم والفساد ويهديهم الى دين الحق، الذي اخبرت به الكتب السماوية . وأخذ الناس يتساءلون ترى هل يكون هذا المولود هو المسيح المنتظر من حنة زوجة عمران واخت إيشاع زوجة زكريا النبي !

ملأ الخبر الأرجاء مستبشرين بقدوم المسيح المخلص لكن القدر لم يُمهل عمران برؤية مولوده وقد توفاه الله قبل ولادة زوجته بشهرين، وكأن المصائب لا تأتي فرادى فعندما جاء وقت الولادة تفاجأ الناس بأن المولود أنثى وليس ذكر وتحطمت امال القوم الذين كانوا ينتظرون ولادة المسيح بل ويرون أن خلفة الإناث عار عليهم

. فخاب ظنهم وشعرت السيدة حنة بالحزن والحرج من نذرها نظرا لأن خدمة المعبد كانت تقتصر فقط على الرجال ، ولكنها لم تيأس فراحت تناجي ربها مرة اخرى وتقول : يا ربي وإلهي ان المولود الذي وضعته جاءت انثى وانت تعلم أن الذكر ليس كالأنثى فاحفظها بحفظك وتقبلها برحمتك .

لقد كانت هذه المرأة الصالحة على يقين وايمان بالله يغنيها عن سؤال البشر فلم تذهب الى كهنة المعبد الذي كان عمران زوجها اكبرهم واكثرهم محبة من الناس ولم تذهب الى زكريا النبي زوج اختها رغم علمها بصلاحه ونبوته ، ولكنها دائما كانت تذهب للأكبر والأقرب من كل هؤلاء ، فكانت تذهب لخالقها ورازقها وكأن بينها وبين الله اتصال مباشر لا ينقطع فهي دائما تسأله وهو دائما يجيبها .. هكذا هي العلاقة الخالصة بين العبد الصالح وربه .

فتقبل الله دعائها واصلح بنتها وقبل نذرها حتى ولو كان هذا النذر يخالف العرف السائد في بني اسرائيل في هذا الوقت فإرادة الله فوق كل شيء

تربت مريم في بيت زوج خالتها زكريا النبي الى أن بلغت الثامنة من عمرها وعلى الرغم من ان خدمة المعبد تقتصر على الرجال فقط إلا أن زكريا اصر على ان ينفذ نذر امها السيدة حنة وبنا لها غرفة من الخشب في المعبد وتسارع كهنة المعبد على من يتكفلها حتى انهم تساهموا بالأقلام في الماء ولم يطفو سوى قلم زكريا ومن ثم تكفلها زكريا وكان رغم كبره يعمل في النجارة ويكسب من عمل يده وكانت زوجته لا تنجب وكثيرا ما كان يسمع ويرى الشماتة من اقرانه من اليهود هو وزوجته ايضا ويشعرون بالحزن لكن رضاهم بقضاء الله كان اكبر ومع مرور الوقت كبرت مريم في ارجاء المعبد تقضي كل وقتها في العبادة والصلاة وخدمة المعبد حتى ان قدامها كانت تؤلمها من كثرة والصلاة والوقوف بين يدي الله ولما كانت لم تنشغل بشيء عن الذكر والعبادة تكفل الله برزقها وما ان كانت تفرغ من الصلاة وتلتفت خلفها فتجد الكثير من الطعام والفاكهة من حيث لا تعلم متى وكيف جاءت.

وذات يوم عاد زكريا من العمل فوجد زوجته تبكي بسبب معايرة بعض النساء لها بالعقم وعدم الانجاب فخرج زكريا متأثرا ببكائها حتى انه كاد أن يبكي هو الاخر من فرط ما آنس من الوحشة والتعب من ايذاء الناس له

وبينما هو ذاهب الى محرابه في المعبد اتجه الى محراب مريم ليطمئن عليها وكان دائما كلما دخل عليها المحراب وجد عندها طعام ولكن هذه المرة وجد شيئا غريبا ، لقد وجد عندها فاكهة موسم الشتاء وهم في فصل الصيف! فتعجب من ذلك وقال لها : يا ابنتي من أين لك بفاكهة الشتاء هذه ونحن في فصل الصيف ؟

قالت : هو من عند الله الذي يرزق من يشاء بغير حساب ولا مواعيد.

خرج زكريا وهو متأثر بهذه الكلمات التي سمعها من مريم وخاصة في اشد اوقات حزنه وكأنها رسالة من الله له بعدم اليأس من رحمة الله وهكذا دائما تأتي رسائل الله لعباده في اصعب الاوقات لتطمئنهم وترشدهم إلى الدعاء والقرب من الله ، وكان زكريا قد اشتدت عليه وحشه الوحدة وصعوبة العمل وقد بلغ من العمر عتيا هو وزوجته ومن ناحية اخرى قد كثرت الاعيب كهنة المعبد واطماعهم في جمع الصدقات من الناس بإسم الرب على حساب الدين والعقيدة فراح يناجي ربه قائلا: رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا .

فاستجاب الله دعاء زكريا واصلح عقم زوجته وحملت بيحيي وكان زكريا في التسعين من عمره وكانت هذه معجزة ورحمة له ولزوجه فطاب زكريا علامة على اتمام الحمل فأوحت له الملائكة بأن علامة الحمل انك سوف تفقد النطق ثلاثة أيام قضاها في المحراب يسبح الله ويشكره على استجابته لدعائه ولم يكن مولود عادي بل كان نبياً حصورا من اطهر الانبياء وسماه الله اسما لم يتسمى به احد من قبل وهذا من فضل الله ورحمته بعد الرضا والصبر، وهذا ما يحدث دائما بعد الصبر والرضا بالبلاء يفاجئنا الله بما لم نتوقعه حتى في اصعب الاوقات ..

يحيى

منذ نعومة أظافره كان يحيى كثير العبادة والتعلم حتى انه كان يقضي جل وقته في المحراب بين عبادة وتعلم وذكر حتى انه لم يفكر في الزواج ابدا ولما سئل عن ذلك قال : لا اريد ان اشغل قلبي بمحبة شيء سوى محبة الله .وقيل إنه لم يرتكب ذنبا طوال حياته وكان قوياً في الحق لا يخشى أحدا ورغم ذلك فكان محبوبا ومهابا بين الناس، إلى ان جاء يوم وقد افتتن ملك اليهود بإبنة اخيه واراد ان يتزوجها فطلب من يحي ان يعقد قرانه فرفض ، فقال له الملك : اصدر لي فتوى تبيح لي الزواج منها ؟

فقال له يحيى : إنها من محارمك ولا تجوز لك.

وانكر عليه ذلك ، فحمل الملك في قلبه منه هذا وغضبت الفتاة ايضا من كلامه وحقدت على يحيى وقيل انها اعجبت به ودعته لتراوده عن نفسها فرفض فأرادت الانتقام منه.

وبينما كان الملك في مجلس لهو وشرب ومعه الفتاة قال لها :

تمني علي فكل ما تطلبيه هو لك ؟

قالت : اريد رأس يحي ..

فهاب الملك ذلك لعلمه انه نبي وانه على حق وعرض عليها امنية اخرى ولكنها اصرت على طلبها وراحت تتدلل على الملك الى ان انصاع لرغبتها وامر جنوده فاحضروه وامر بذبحه وسط رهبة وغضب من الناس فذبح وقدمت رأسه لتلك الفتاة الباغية..

لقد اظلمت الارض هذا اليوم حزنا وهاجت الناس غضباً لقتل رجل من اطهر الرجال ونبي كريم وهكذا كان هو دأب الملوك من بني اسرائيل وغيرهم من الملوك الظالمين فهم لا يتورعون عن الظلم والفساد في الارض حتى مع الانبياء والصالحين فعندما يستسلم الانسان لهواه يعميه عن كل الفضائل ويسوقه الى افظع الجرائم من حيث لا يشعر فيموت قلبه ويتجبر في الارض .. حتى اذا جاءت نهايته وسقوطه فتكون اكبر من ارتفاعه وتجبره

ولم يكتفي الملك بذلك بل وأرسل جنوده في قتل زكريا خوفا من ان يحرض عليه اليهود فعلم زكريا بذلك وفر في الغابات فنادته شجرة ان يختبئ بداخلها فاختبأ فيها ولم يظهر منه سوى طرف ثوبه وكان ابليس حاضرا في هيئة راعي ولما حضرت الجنود أشار لهم على مكان زكريا داخل الشجرة واراهم طرف ثوبه وقال لهم: انه دخل في الشجرة بسحره

فأرادوا ان يحرقوا الشجرة ولكن ابليس قال لهم : اقطعوها بالمنشار من منتصفه.

فقطعوا الشجرة بالمنشار من منتصفها وفي داخلها زكريا ولكنه كان قد فارق الحياة قبل قطعها ولم يصبه الم ..

مريم .

بعد أن التحقت مريم بالمعبد فكانت في عزلة مع ربها بين عبادة وذكر فكانت قد ورثت الصلاح وحسن اليقين من امها وذيع خبرها في الناس بصدق ايمانها وبركة دعائها فكانوا يأتون إليها طالبين الدعاء فتدعوا لهم ويستجيب الله دعائها ، وذات يوم اعتزلت في وادي على مسافة من المعبد فارسل الله إليها جبريل في هيئة رجل فخافت واستعاذت بالله منه فأخبرها بأنه ملاك مُرسل لها من السماء وبشرها بأن الله سوف يهب لها غلاما زكيا اسمه المسيح عيسى روح من الله وكلمته ويخلص الناس من جور اليهود وظلمهم ويهديهم ويعلمهم الدين والحكمة ، ونفخ في جيب قميصها فحملت بعيسى وكان وقع ذلك شديدا عليها نظرا لأنه ولد بغير أب وماذا سوف تقول للناس وهي العابدة الطاهرة البتول ولكنها قبلت ورضيت بأمر ربها وحكمته في ارسال رسولا من صلبها لبني إسرائيل

في الشهر السابع من الحمل وكانت مريم قد بدا عليها علامات الحمل كما تحمل النساء بأولادهن، وكان معها في المعبد رجل صالح من اقاربها، يقال له : يوسف النجار ، فلما رأى ثقل بطنها وكبره ، أنكر ذلك من أمرها ، واخذته الظنون ،ثم صرفه عن ذلك ما يعلم من براءتها ونزاهتها ودينها وعبادتها ، ثم تأمل ما هي فيه ، فجعل أمرها يجوس في فكره ، لا يستطيع صرفه عن نفسه ، فحمل نفسه على أن عرض لها في القول ، فقال : يا مريم ، إني سائلك عن أمر فلا تعجلي علي . قالت : وما هو ؟ قال : هل يكون قط شجر من غير حب ؟ وهل يكون زرع من غير بذر ؟ وهل يكون ولد من غير أب ؟ فقالت : نعم ، وفهمت ما أشار إليه ، وقالت: أما قولك " هل يكون شجر من غير حب وزرع من غير بذر ؟ " فإن الله قد خلق الشجر والزرع أول ما خلقهما من غير حب ، ولا بذر " وهل خلق يكون من غير أب ؟ " فإن الله قد خلق آدم من غير أب ولا أم . فصدقها ، وسلم لها حالها

وقبل اكتمال التسعة اشهر فترة حملها وجاء موعد ولادتها ظهر في السماء نجم غريب يعرف بالنجم المُذّنب وكان ظهوره علامة على ولادة النبي المسيح المخلص الذي اخبرت عنه الكتب السماوية وكانت تنظره اليهود.

وذات يوم حضر ثلاثة من المنجمين من كبار ارض فارس الى بيت المقدس يريدون مقابلة ملك اليهود هيرودس فسمح لهم بالدخول فحيوا الملك وقدموا له الهدايا وقالوا له : نحن منجمون من بلاد الفرس وقد أتينا لنشربكم بولادة المسيح المخلص الذي اخبرت عنه الكتب السماوية ، وما جئنا هنا إلا لنراه ونقدم له الهدايا والقرابين وتحل علينا بركته .

فقال لهم الملك وقد ساوره الشك والقلق وهو الذي يخشى ضياع ملكه على يد هذا الطفل : وكيف عرفتم بموعد ولادته ؟ قالوا : لقد قرأنا ذلك في كتبنا وبحثنا في حسابات الفلك والنجوم كما اننا رأينا علامة ولادته . قال الملك : وما علامة ولادته ؟ قال كبيرهم : ظهور ذلك النجم المذنب في السماء وهو يظهر كل ألفي عام لأمر جلل وقد ظهر بالفعل قبل أيام . فسمح لهم بدخول المدينة والبحث عن المولود الذي يدعون انه المسيح وارسل وراءهم بعض الجنود يراقبونهم عن بعد ليقتلوا الطفل اذا وجدوه .

قبل أيام من ولادتها ولما استشعرت مريم من قومها اتهامها بالريبة ، فانتبذت منهم مكانا قصيا ، فألجأها الطلق الى جذع نخلة وبلغ منها الام والحزن مبلغا لِما سوف تلاقيه من اتهامات من قومها وهي العبادة الزاهدة فقالت : يا ليتي مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا .. ووضعت مولودها وظهر نبع من الماء بقربها وأنطق الله المولود قائلا لها : لا تحزني يا أماه ولا تيأسي . قالت: وكيف لا أحزن وأنت معي لا ذات زوج ولا مملوكة ، أي شيء عذري عند الناس ؟ يا ليتني مت قبل هذا وكنت

نسيا منسيا ، قال لها عيسى : أنا أكفيك الكلام. فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا. وقد جعل ربك تحتك الماء والرطب الطيب فكلي واشربي وقري عينا.

لقد هدأ من روعها وطمأنها نطق رضيعها وسلمت بقضاء ربها وبعد ايام ذهبت بمولودها الى قومها فتعلقت بها اعين الناس عندما راوها تحمل مولودها وراحوا يذمونها وينكرون عليها هذا الفعل المشين وهي العابدة الناسكة سليلة هارون النبي وابنة عمران الرجل الصالح

وما ان اقتربت من المعبد حتى تجمهر حولها الناس والكهنة يسألونها عن هذه الجريمة الشنعاء وراحوا يتهمونها بالزنا ويطالبون بحرقها ،

كل ذلك وهي لا تجيب على احد وفي النهاية اشارت إلي المولود فتعجبوا من ردها وظنوا انها تسخر منهم فأنطق الله الرضيع وقال : إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركا أينما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبراً بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا .

فبهت القوم من هذه المعجزة وتقدم منجمون الفرس الثلاثة من بين الناس وسجدوا له تعظيما وتشريفا وقدموا له الهدايا في مشهد رهيب ومعجز اسكت كل الالسن التي اتهمتها كذب وبهتانا .

جن جنون هيرودس الذي يُعّد واحدا من أكثر الملوك شرا في التاريخ ، واخذه الخوف على ملكه من أن يشب هذا الرضيع ليأخذ منه الملك فأصدر أوامره بذبح كل طفل يبلغ من العمر أقل من عامين ،

في الجانب الآخر كان يوسف النجار قد تولى حماية مريم ورضيعها فقد رأى في المنام ملاك يأمره قائلا : خذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر . فقام واخذ مريم وطفلها ليلا وفرا الى مصر

وفي بيت المقدس فقد ثار اليهود في الهيكل في عيد الفصح ضد روما احتجاجا على ظلم هيرودس ملكهم المفوض فذبح هيرودس منهم ثلاثة آلاف إرضاءً لخاطر روما حتى امتلأ الهيكل بجثث القتلى، فشكاه شعبه للإمبراطور إذ توجه وفد من خمسين رجلًا يهوديًا من اليهودية والسامرة واستعانوا بالجالية اليهودية في روما وكان عددهم نحو ثمانية آلاف، واستجاب الإمبراطور لطلبهم فخلع هيرودس من الحكم ونفاه إلى فيينا ببلاد الغال بعد أن جرّده من أمواله وممتلكاته، وتحوَّلت المنطقة اليهودية والسامرة إلى ولاية رومانية، وعاد المسيح وامه ويوسف النجار من مصر بعد سماعهم هذه الاخبار

المسيح .

لقد نشأ عيسى على الدين والعلم والعبادة ومجالسة العلماء وكان الله يحفظه ويؤيده بالروح القدس جبريل نظرا لولادته من ام فقط من غير اب وهذا ما قد يعرضه للأذي من كهنة اليهود وقادة الرومان لخوفهم من أن يكون المسيح المخَلص ويسحب البساط من تحت اقدامهم ، وكهنة اليهود كانوا ممن يقولون ولا يعملون مثل الحمار الذي يحمل الكتب ولا يعمل بها وعندما سئل المسيح عنهم قال : اسمعوا علمهم ولا تعملوا بعملهم . وراح يُجابْهه فطاحل العلماء بما علموه وحفظوا وتفننوا فيه من ألغاز الفقه وأحاجي الشريعة، فقال لهم: إنّ الدين بما تعمل لا بما تعلم.

لقد بلغت فتنة الظواهر والأشكال غايتها، وطغت من الهيكل إلى البيت، ومن المكتب إلى السوق، ومن المنبر إلى المائدة، حتى لُقمة الطعام أصبحت لا تحل إلا بمقدار ما يُتلى عليها من الأوراد والعزائم، وما تُحاط به من الشعائر والمراسم، وما يرسمه الكهان من أحكام الذبائح والولائم، وضيق ا على الناس اشد تضييق طمعا في جمع الصدقات والاموال ليصطدم هنا عالم الظواهر وعالم الضمير.

فالفضل بين الأمم عندهم امتياز رسمي محتكر لبني اسرائيل؛ لأنَّهم أبناء إبراهيم، والفضل في بني اسرائيل امتياز رسمي ايضا محتكر لأبناء هارون وأبناء لاوي أصحاب الكهانة بحق النسب والميراث،

والفضل في الدين والعلم حرفة يحتكرها الكتبة والناموسين، والكهنة ، بل كادت محبة الله لشعبه المختار أن تكون وثيقة في صك مرسوم تضمن الإيثار لذلك الشعب، وإن هبطت به أعماله دون سائر الشعوب،

فلما قامت دعوة المسيح بشريعة العدل والحب واحياء الضمير، كانت كلمتها هي الكلمة الحق على كل ما ادعوه، وما استأثروا به واحتكروه. فكان المسيح يقول للناس : ليس الخير حكراً للنسب او السلالة او لشعب بعينه، بل الذي يعمل بمشيئة الله هو أخي وأختي وأمي، وإنَّما الرحمة عمل، لا نسبة ولا حرفة. وضرب لهم مثلا: إنسانًا خرج عليه اللصوص في الطريق فسلبوه وضربوه وتركوه بين الحياة والموت، ومر به كاهن فأهمله ومضى في طريقه، وجاء لاوي فمضى ولم يلتفت إليه .. ولكن سامريّا رآه فأشفق عليه وضمد جراحه، وأركبه على دابته، وأتى به إلى فندق، وأولاه عنايته، ثم أخرج لصاحب الفندق عند سفره دينارين؛ لينفقها عليه، ويعتنى به، قال المسيح لتلاميذه وقد ضرب لهم هذا المثل: أي هؤلاء الثلاثة أقرب إلى ذلك الصريع الجريح؟ والجواب الذي لا خلاف عليه بداهة أن السامري المنبوذ أقرب إليه من أبناء هارون ومن ابناء لاوي المصطفين .

وراحوا يجادلونه ويناظرونه ليوقعوا بينه وبين حاكم الروم وذات يوم تعمدوا وهو في الهيكل أن يضطروه إلى موقف الحكم، أو إنكار الشريعة، فاقتحموا عليه الكتبة والفريسيون دروسه ومعهم امرأة يدفعونها إلى وسط الحلقة، وراحوا يتصايحون: أيُّها المعلم، هذه امرأة أخذت وهي تزني، وقد أوصانا موسى أن نرجم

الزانية، فماذا تقول أنت؟

.ماذا يقول هو؟ ما بالهم يسألونه ويستأذنونه، وهو لا يملك أن يمنعهم، لو ذهبوا بها إلى قضاتهم ؟

إنَّ الشرَ مكشوف على وجوههم، وليس منه مخرج فيما حسبوا وخمنوا، فإن قال: ارجموها! فذلك حق الولاية يدعيه، وإن قال: أطلقوها! فتلك شريعة موسى نكرها في قلب الهيكل، فكيف الخلاص من جانبي الشرَ ،وينتهي من القضية إلى حل لا يدعي به السلطة، وسبق إلى ظنهم كل خاطر إلا أنَ ينكرها، ولا ينساق فيه إلى مجاملة الرياء بالدين والكبرياء بالتقوى، ولبثوا يترقبون، ولا يدرون كيف يخرج من المأزق الذي دفعوه إليه، وهم يبتسمون في خبث فيما بينهم، وبينما هو يستمع إليهم ويخط بأصبعه على الأرض، حتى فرغوا من جلبتهم وسؤالهم، فوقف قائما ورد عليهم رياءهم في وجوههم، وكَسرَ الشرَ بَقدميه من كلا طرفيه، وهو يقول لهم: من كان منكم بلا خطيئة فليتقدم ولريمها بحجر

فلم ينقض شريعة موسى، ولا يدعي تنفيذها، ولا يجامل رياءهم، وبقيت المرأة المسكينة واقفة وحدها أمامه، فسألها سؤال العارف: أين المشتكون منك؟ أما دانك أحد؟ فقالت: لا أحد أيها السيد. فأرسلها وهو يقول: ولا أنا أدينك فاذهبي ولا تُخطئي.

نعم، لا يدينها، ولا يحسب عليه أنَّه لا يدينها في تلك القضية، ولو كان هو قاضيها، لأن القاضي لا يدين بغير شكوى، وبغير شهود وبغير بينة!

ثم يهتف بأولئك المنافقين : أيُّها القادة العميان الذين يُحاسبون على البعوضة ويبتلعون الجمل، إنَّهم يتظاهرون بالعلم والتقوى ، وهم في الباطن مترعان بالرجس والدعارة، ويل لكم أيُّها الكتبة والفريسيون المراؤون! إنَّكم كالقبور المبيّضة، خارجها طلاء جميل، وداخلها عظام نخرة واشلاء عفنه.

وارادوا ايضا ان يحرضوا الناس عليه فقالوا : انه عمل في يوم السبت وسخر من المحرمات وخاطب الناس بغير خطاب الناموس .

فقال: لا تظنوا أنِّي جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض، بل جئت لأكمل

وذات يوم ارادوا ان يوقعوا بينه وبين قيصر الروم فسألوه : يا سيد هل يجوز دفع الجزية لقيصر الروم وهو كما تعلم على غير ملتنا ؟ قال : اعطوني دينارا . فأعطوه، فسألهم عن الصورة التي على العملة : لمن هذه ؟ قالوا : لقيصر . قال : فما لقيصر فأعطوه لقيصر وما لله فأعطوه لله .

كل ذلك وقع بعدما جهر برسالته ودعا اليهود الى شريعة الله الحقة وعارض فسادهم وانحرافاتهم واطماعهم ودعى للمساواة والعدل واللين والتيسير على الناس فما كان من اليهود إلا انهم عادوه وحرضوا الرومان على قتله بدعوى انه طامع في الملك والسيادة فأسروه ونصبوا له خشبة ليصلبوه، فأظلمت الأرض، وأرسل الله الملائكة، فحالوا بينه وبينهم، فأخذوا رجلا يقال له: يهودا، وهو الذي دلهم على عيسى،

وكان ذلك عندما جمع عيسى الحواريين في ليلة العشاء الاخير وأوصاهم، ثم قال لهم: ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديكة، فيبيعني بدراهم يسيرة، فخرجوا وتفرقوا، وكانت اليهود تبحث عنه، فأتى يهودا إليهم، وقال: ما تجعلون لي إن دللتكم عليه؟ فجعلوا له ثلاثين درهما، فأخذها ودلهم على مكانه فألقى الله تعالى عليه شبه عيسى، فأخذوه ، فقال لهم: أنا الذي دللتكم عليه، فلم يلتفتوا إلى قوله، وصلبوه وهم يظنون أنه عيسى ولكن عيسى رفعه الله الى السماء ...

اظلمت الرؤية امامي وشعرت بعودتي الى التابوت فخرجت وانا اشعر بالكثير من السعادة والدهشة لرؤية هؤلاء الانبياء الأجلاء وهذه الاحداث المثيرة رغم حزني لما حدث لهم من جرائم واضطهاد من قومهم من اليهود الملاعين ، وكان الليل قد اسدل استاره فذهبت لتناول العشاء ونمت في هدوء

وبعد أيام استيقظت من نومي وانا مسرور لأني رأيت النبي محمد وجمع من اصحابه في رؤية جميلة وكأنه كان يسلم علي او يدعوني لشيء ما . فسعدت بهذه الرؤية وعزمت على خوض رحلة في التابوت وتمنيت أن تكون في عهد النبي محمد حتى اراه وارى اصحابه . وما ان انتهيت من صلاة الصبح وتنا لت افطاري جلست لتدوين بعض الاحداث من الرحلة الاخيرة في مذكراتي

وفي اليوم التالي توجهت إلى تابوت العهد رفعت بابه ورقدت فيه فهام في السماء مروراً من النفق المظلم الذي يشبه البوابات الزمنية فوجدت نفسي في ..

واقعة الاحزاب

العام الخامس هـ .٦٢٧ م

في المدينة المنورة حيث الطبيعة الصحراوية التي تناثرت فيها الكثير من النخل والمنازل الطينية الصغيرة ويتوسط المدينة مسجد من الطين والحجارة مسقوف بالجريد وسعف النخل يبدو انه مسجد النبي وطوقتها الجبال من ثلاث جهات ومن خلفهم قبيلة صغيرة لليهود تدعى بني قريظة

رأيت جمع كبير من الرجال يتوسطهم رجل جميل الوجه مبتسم ذو هيبة رغم لينه وتواضعه . لم استغرق الكثير من الوقت للتعرف عليه وكيف لا اعرفه وقد رأيته في الرؤيا قبل أيام، بالطبع كان هو النبي محمد وعندما اقتربت منهم وجدتهم يتحدثون في أمر جلل بعدما بلغتهم اخبار عن هجوم قادم من قبائل جزيرة العرب على رأسهم قريش وغطفان وقبائل اليهود

لقد كانت لحظة فارقة في تاريخ الاسلام والمسلمين وكان المحرك لها يهود بني النضير بعد إجبار المسلمين لهم على الخروج من المدينة ليسكنوا أرض خيبر عقابا على خيانتهم وغدرهم عندما خططوا لاغتيال النبي ولكن حفظه الله من غدرهم ومكرهم ، مما أثار في قلوبهم مشاعر الحقد والغيظ ، فأخذوا يحيكون المؤامرات والدسائس للقضاء على المسلمين ، وإنهاء سيطرتهم على المدينة .

وكان أول ما خطر ببالهم الاستعانة بأهل مكة ؛ لعلمهم بعدائهم للمسلمين وبإمكاناتهم العسكرية وكثرة عددهم وعلاقاتهم الواسعة بمن جاورهم من القبائل ، فانطلق وفد منهم بقيادة سلام بن أبي الحقيق ، وحيي بن أخطب ، وأبي عمار الوائلي ، وغيرهم من قيادات اليهود ، وقاموا بتحريض قريش على قتال النبي ووعدوهم بالنصرة والمساندة ، وبالغوا في مدحهم ومجاملتهم على حساب الدين حتى شهدوا بأن ما عليه قريش من الشرك والضلال خير وأهدى سبيلا مما عليه المؤمنون حتى أنهم سجدوا لأصنامهم،

ووافق تحريض اليهود هوى في نفوس أهل مكة ، ورغبة في القضاء على محمد والإسلام نهائيا والخروج من الضائقة الاقتصادية التي أصابتهم بفعل التعرض المستمر لقوافلهم التجارية على يد الصحابة ، إضافة إلى أنهم وجدوا في ذلك فرصة للإيفاء بالوعد الذي قطعوه يوم أحد بالعودة لقتال محمد واصحابه

وهكذا التقت مصالح الفريقين ، وقامت قريش بمراسلة حلفائها من بني أسد وبني سليم وكنانة وغطفان وغيرها ، فاجتمع جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل ، وعاد الوفد اليهودي مسرورا بعد نجاح خطتهم في تحريض القبائل على المسلمين وبهذه الأعداد الهائلة التي سارت متجهة صوب المدينة .

وجاءت الأخبار إلى رسول الله باقتراب الأحزاب من المدينة ، فعقد اجتماعا عاجلا مع كبار المهاجرين والأنصار لمناقشة ما ينبغي فعله لصد العدوان ، فاتفقت آراؤهم على ضرورة الخروج إلى تلك القوات ومنعها من الوصول ، لكن سلمان الفارسي كان له رأي آخر ، حيث أشار على النبي بحفر خندق كبير يحول بينهم وبين الاعداء كما كانوا يفعلونه في أرض فارس ، فأعجب النبي بفكرته ، وأمر بحفر الخندق في شمال المدينة ، وذلك لأن بقية الجهات كانت محصنة بالبيوت المتقاربة والأشجار المتشابكة ، والأراضي الصخرية ، التي تحول دون دخول المشركين وتقدمهم .

لقد عجبت من اسم هذا الرجل الذي يدعى سلمان الفارسي وسمته فهو لا يشبه بقية الرجال العرب حتى اسمه يدل على انه من خارج الجزيرة العربية! فما جاء به إلى هنا وخاصة في هذا الوقت الصعب ليقدم للنبي والمسلمين هذا الاقتراح العجيب بحفر الخندق الذي كان شيئا غريب على جزيرة العرب وليجعله الله سبباً في انقاذ المسلمين في أصعب اوقاتهم على الاطلاق مما جعل النبي ينسبه لنفسه ويقول بأعلى صوته : يلمان منا يا آل البيت . وروحت احدث نفسي قائلا : تُرى ما قصة هذا الرجل الفارسي وما الذي جاء به إلى جزيرة العرب ؟

سلمان الفارسي.

وسعدت كثيرا عندما وجدته جالس مع بعض الرجال يحكي لهم قصته بعدما سأله احدهم عنها فقال :

كنت شاباً من أهل فارس من أهل أصبهان ، من قرية يقال لها جي ، وكان أبي سيد قومه ، وكان يحبني حبا شديدا حتى حبسني في البيت كما تحبس الجارية ، واجتهدت في المجوسية حتى كنت خادم النار المقدسة الذي أُوقدها ، فلا أتركها تخبو ساعة ، فكنت لذلك لا أعلم من أمر الناس شيئا إلا ما أنا فيه ، حتى بنى أبي بنيانا له ، وكانت له تجارة فيها بعض العمل ، فدعاني فقال : أي بني ، إنه قد

شغلني ما ترى من بنياني عن تجارتي هذه ، ولا بد لي من اطلاعها ، فانطلق إليها فمرهم بكذا وكذا ، فخرجت أريد تجارته ، فمررت بكنيسة للنصارى ، فسمعت أصواتهم فقلت : ما هذا ؟ قالوا : النصارى ، فدخلت فأعجبني حالهم ، فوالله ما زلت جالسا عندهم حتى غربت الشمس ، وبعث أبي في طلبي في كل وجه حتى جئته حين أمسيت ، ولم أذهب إلى تجارته فقال : أين كنت ؟ قلت : مررت بالنصارى ، فأعجبني صلاتهم ودعاؤهم ، فجلست أنظر كيف يفعلون . قال : أي بني دينك ودين آبائك خير من دينهم . فقلت : لا والله ما هو بخير من دينهم ، هؤلاء قوم يعبدون الله ، ويدعونه ويصلون له ، ونحن نعبد نارا نوقدها بأيدينا ، إذا تركناها ماتت . فخاف علي فجعل في رجلي حديدا وحبسني ، فبعثت إلى النصارى فقلت : أين أصل هذا الدين الذي أراكم عليه ؟ فقالوا : بالشام . فقلت لهم : فإذا قدم عليكم من هناك ناس فآذنوني ان يحملوني معهم . قالوا : نفعل . فقدم عليهم ناس من تجارتهم فآذنوني بهم ، فطرحت الحديد من رجلي ولحقت بهم ، فقدمت معهم الى الشام ، فقلت : من أفضل أهل هذا الدين ؟ قالوا : الأسقف صاحب الكنيسة . فجئته فقلت : إني قد أحببت أن أكون معك في كنيستك ؟ وأعبد الله فيها معك ، وأتعلم منك الخير . قال : فكن معي . قال : فكنت معه ، فكان رجل سوء ، يأمر بالصدقة ويرغبهم فيها ، فإذا جمعوها له اكتنزها ولم يعطها المساكين ، فأبغضته بغضا شديدا ، لما رأيت من حاله ،

فلما مات جاءوا ليدفنوه قلت لهم : هذا رجل سوء ، كان يأمركم بالصدقة ويكنزها . قالوا : وما علامة ذلك ؟ قلت : أنا أخرج إليكم كنزه ، فأخرجت لهم سبع قلال مملوءة ذهبا وورقا ، فلما رأوا ذلك قالوا : والله لا يدفن أبدا ، فصلبوه ورموه بالحجارة ، وجاءوا برجل فجعلوه مكانه ، ووالله ما رأيت رجلا من النصارى أفضل منه ، وأشد اجتهادا ، ولا أزهد في الدنيا ، ولا أدأب ليلا ونهارا ، فلم أزل معه حتى حضرته الوفاة ، فقلت : قد حضرك ما ترى من أمر الله فماذا تأمرني وإلى من توصيني ؟ قال لي : أي بني ، والله ما أعلم احدا على ما نحن عليه إلا بالموصل ، فأته فإنك ستجده على مثل حالي .

فلما مات لحقت بالموصل ، فأتيت صاحبها فوجدته على مثل حاله من الاجتهاد والزهد ، فقلت له : إن صاحبك فلانا أوصى بي إليك . قال : فأقم يا بني ، فأقمت عنده على مثل أمر صاحبه حتى حضرته الوفاة ، فقلت : إن فلانا أوصى بي إليك ، وقد حضرك من أمر الله ما ترى ، فإلى من توصيني ؟ قال : والله ما أعلمه إلا رجلا بنصيبين بين الروم والشام . فلما دفناه لحقت بالآخر ، فأقمت عنده على مثل حالهم ، حتى حضره الموت فأوصى بي إلى رجل من عمورية بالروم ، فأتيته فوجدته على مثل حالهم ، فأقمت عنده واكتسبت حتى كانت لي غنيمة وبقرات ، ثم احتضر فكلمته ، فقال : أي بني والله لا أعلم بقي أحد على مثل ما كنا عليه ، ولكن انت الأن قد أظلك بعثة نبي آخر الزمان يُبعث من الحرم ، مهاجره بين حرتين ،

أرض ذات نخل كثير ، وإن فيه علامات لا تخفى ، بين كتفيه خاتم النبوة ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، فإن استطعت أن تصل إلى تلك البلاد فافعل ، فإنه قد أظلك زمانه .

فلما دفناه أقمت حتى مر بي رجال من تجار العرب من قبيلة بنو كلاب، فقلت لهم : تحملوني إلى أرض العرب ، وأنا أعطيكم غنيمتي هذه وبقراتي ؟ قالوا : نعم . فأعطيتهم إياها وحملوني ، حتى إذا جاءوا بي وادي القرى غدروا بي فباعوني عبدا لرجل يهودي بوادي القرى ، فوالله لقد رأيت النخل ، وطمعت أن يكون البلد الذي وصفها لي صاحبي ، وما زلت عنده حتى قدم رجل يهودي من بني قريظة فابتاعني له ، فخرج بي حتى قدمنا المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفت وصفها فأقمت معه اعمل له في رعاية النخيل وجمع تمورها

حتى بُعث رسول الله بمكة ولم يُذكر لي شيء من أمره ، مع ما أنا فيه من الرق ، حتى قدم قباء ، وأنا أعمل لصاحبي في نخله ، إذ جاء ابن عم له فقال : قاتل الله بني قيلة ، والله إنهم الآن مجتمعون على رجل جاء من مكة ، يزعمون أنه نبي . فوالله ما أن سمعته إلا فأخذتني الرعدة حتى ظننت لأسقطن على صاحبي ، ونزلت أقول : ما هذا الخبر ؟ فرفع مولاي يده فلكمني لكمة شديدة ، وقال : مالك ولهذا ، استمر على عملك . فقلت : لا شيء ، إنما سمعت خبرا فأحببت أن أعلمه .

فلما أمسيت وكان عندي شيء من طعام ، واردت أن اختبر اولى علامات النبي كما اخبرني الراهب ، فحملت الطعام وذهبت إلى رسول الله وهو بقباء فقلت له : بلغني أنك رجل صالح ، وأن معك أصحابا لك غرباء ، وقد كان عندي شيء للصدقة ، فرأيتكم أحق من بهذه البلاد فقدمت له الطعام ، فامتنع هو عن الأكل وقال لأصحابه : كلوا !

فقلت في نفسي هذه واحدة .. لا يأكل الصدقة .

ثم رجعت الي عملي وتحول رسول الله إلى المدينة ، فجمعت شيئا من الطعام ثم جئته به ، فقلت له: هذا هدية ، فأكل وأكل أصحابه ، فقلت في نفسي : هذه العلامة الثانية.. يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ..

ثم جئته وهو يتبع جنازة ، وهو في أصحابه ، فاستدرت لأنظر إلى خاتم النبوة في ظهره، فلما رآني وقفت خلفه فعرف أني أستثبت شيئا وُصف لي ، فوضع رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه ، كما وصف لي صاحبي ، فأكببت عليه أقبله وأبكي ، فقال : تحول يا سلمان هكذا . فتحولت ، فجلست بين يديه ، وأحب أن يسمع أصحابه حديثي عنه ، فحكيت له قصتي منذ خروجي من فارس إلى ان وصلت الى المدينة . فلما فرغت قال : كاتب مولاك يا سلمان على العتق ، فجئت مولاي فكاتبته واتفقت معه على ثلاثمائة نخلة أزرعها له وأربعين أوقية

مقابل ان يعتقني ، فأعانني رسول الله واصحابه في النخل وتأدية الدية حتى نلت عتقي ولحقت بصحبة النبي .

حفر الخندق

تم تقسيم المسؤولية بين الصحابة بحيث تولى كل عشرة منهم حفر أربعين ذراعا وكان طول الخندق يقدر بخمسة آلاف ذراع وأن عمقه يقدر بما لا يقل عن سبعة أذرع وأن عرضه لا يقل عن تسعة أذرع. ثم بدأ العمل بهمة وعزيمة على الرغم من برودة الجو وقلة الطعام ، وزاد من حماسهم مشاركة الرسول معهم في الحفر ونقل التراب وكان الصحابة يقضون الأوقات بترديد الأشعار المختلفة ، والنبي يشاركهم في ذلك ، فكانوا يقولون :

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا

وهو يجيبهم بقوله :

اللهم إن العيش عيش الآخرة ، فاغفر للأنصار والمهاجرة

وكان النبي يردد أبيات عبدالله بن أبي رواحة رضي الله عنه :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الألى قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

وقد شهدت تلك الأيام كثيرا من المعجزات ، وذلك عندما واجه الصحابة أثناء الحفر صخرة عظيمة لم يتمكنوا من كسرها، فضربها النبي بفأسه وقال : بسم الله ، فسطع

منها وميض قوي وانكسر ثلثها ، فقال النبي : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا ، ثم ضربها مرة أخرى فسطع منها الوميض مرة أخرى وانكسر ثلثها الثاني ، فقال : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر المدائن ، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا ، وعلى إثر الضربة الثالثة تحولت تلك الصخرة إلى فتات ، وبشر النبي بوصول دعوته إلى اليمن ، فقلت في نفسي صدقت يا رسول الله لقد فُتحت كل هذه البلاد حقا.

وبعد مرور ثلاثة أيام في الحفر ونقل الحجارة وشدة الجوع ، حتى ربط النبي والصحابة الحجارة على بطونهم من شدة الجوع ، رأى جابر المعاناة في وجه النبي فعظم عليه ذلك ، واستأذنه في الذهاب إلى البيت ، فقص على زوجته ما رآه ، وطلب منها أن تصنع الطعام لضيافة النبي ، فأخذت الشعير الذي ادخرته فطحنته وصنعت منه طعاما ، وذبح جابر عنزة كانت لديه وجعلها في القدر ، ولما نضج اللحم انطلق إلى النبي وكلمه سرا بالحضور مع رجل أو رجلين على الأكثر نظرا لقلة الطعام ، فإذا بالنبي يصيح بأعلى صوته داعيا كل من كان في الخندق للحضور معه ، ثم أمر جابرا بعدم المساس بالطعام .

ورأت زوجة جابر جموع المهاجرين والأنصار وهي مقبلة فعاتبت زوجها ، فأخبرها أن النبي هو من قام بدعوتهم ، ودخل الصحابة بيت جابر والنبي يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ثم يغطي القدر ، ولم يزل كذلك حتى أكلوا جميعا وشبعوا ، وبقي شيء من الطعام في القدر فكان من نصيب أهل جابر .

واكتمل حفر الخندق خلال عشرين يوما ، فجعل النبي النساء والصبيان في إحدى حصون بني حارثة لحمايتهم , ثم أمر بتنظيم دوريات لحراسة المدينة من جميع الجهات ، وعين سلمة بن أسلم الدوسي لتولي الحراسة عند الخندق، وأرسل مع زيد بن حارثة مائتي رجل لمراقبة الجهة الجنوبية .

حيي بن أخطب

في تلك الأثناء كان حيي بن أخطب من بني النضير يقوم بمهمة خطيرة ، فقد كان بنو قريظة الطائفة اليهودية الوحيدة التي بقيت في المدينة تعايش المسلمين في سلام وأمن، وكانوا يحترمون الميثاق الذي عقدوه مع النبي احتراما كاملا. فرأى حييّ بن أخطب أن طريق الانتصار يتوقف على الاستعانة بمن في داخل المدينة وذلك بأن يدعو يهود بني قريظة الى نقض العهد الذي عاهدوا رسول الله به. ليشعل بذلك حربا بين المسلمين ويهود بني قريظة ويشغل المسلمين بفتنة داخلية، وبذلك يمهّد لانتصار المشركين الذين يحاصرون المسلمين خلف الخندق.

وانطلاقا من هذه الفكرة أتى حييّ الى حصن بني قريظة ودق عليهم الباب وعرّف نفسه، فأمر رئيس بني قريظة كعب بن الاسد بان لا يفتحوا له الباب ولكنه أصر، وقال : ما يمنعك من فتح الباب إلا خبزك الذي في التنور تخاف أن اشاركك فيه فافتح فانّك آمن من ذلك. فأثارت تلك الكلمات الجارحة حمية كعب فأمر بأن يفتحوا له باب الحصن، ففتحوا له، فدخل مثير الحرب المشؤوم حييّ وقال لكعب : يا كعب لقد جئتك بعزّ الدهر، هذه قريش في قادتها وسادتها مع حلفائهم من كنانة، وهذه فزارة مع قادتها وسادتها، وهذه سليم وغطفان وغيرهم، ولا يفلت محمّد وأصحابه من هذا الجمع أبدا وقد تعاقدوا وتعاهدوا الاّ يرجعوا حتى يستأصلوا محمّدا ومن معه، فانقض العهد بينك وبين محمّد، ولا تردّ رأيي.

فأجابه كعب قائلا : لقد جئتني والله بذلّ الدهر، وبسحاب يبرق ويرعد وليس فيه شيء، وأنا ومالي معي، والصبيان والنساء ولم أر من محمّد إلاّ صدقا ووفاء فارجع عنّي، فانه لا حاجة لي فيما جئتني به.

ولكن حييّ بن أخطب لم يزل يراوض كعبا ويلحّ عليه حتى اقنعه بنقض عهد رسول الله وهيّأ لذلك، فقال كعب : أنا أخشى أن لا يقتل محمّد وتنصرف قريش إلى بلادها، فما ذا نفعل حينذاك؟ فوعده حيي أن يدخل معه حصنه ليصيبه ما أصابه ان لم يقتل محمد واصحابه

فقال كعب : دعني اشاور رؤساء اليهود فدعا رؤساء اليهود وشيوخهم، وخبرهم الخبر، وحيي حاضر، وقال لهم كعب : ما ترون؟ فقالوا : أنت سيدنا، والمطاع فينا، وصاحب عهدنا وعقدنا فان نقضت نقضنا معك وإن أقمت أقمنا معك، وإن خرجت خرجنا معك.

فقال الزبير بن باطا وكان شيخا كبيرا مجرّبا قد ذهب بصره : قد قرأت في التوراة التي أنزلها الله في سفرنا يبعث نبيّا في آخر الزمان، يكون مخرجه بمكة، ومهاجره في هذه البحيرة... يبلغ سلطانه منقطع الخفّ والحافر فان كان هذا محمّد هو فلا يهولنّه هؤلاء ولا جمعهم، ولو عزم على هذه الجبال الرواسي لغلبها.

فقال أخطب من فوره : ليس هذا ذاك الذي في التوراة، ذلك النبي من بني إسرائيل، وهذا من العرب من ولد اسماعيل، ولا يكونوا بنو اسرائيل أتباعا لولد اسماعيل أبدا، لأنّ الله فضّلهم على الناس جميعا وجعل فيهم النبوة والملك، وليس مع محمّد آية، وإنّما جمعهم جمعا وسحرهم!!

ولم يزل يقنّع بهم، ويقلّبهم عن رأيهم، ويلحّ عليهم حتى أجابوه، ورضوا بأن ينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله

فقال : أخرجوا الكتاب الذي بينكم وبين محمّد، فأخرجوه، فأخذه ومزقه، وقال : قد وقع الأمر، فتجهّزوا وتهيّأوا للقتال، وبذلك جعلهم أمام الامر الواقع الذي ظنوا أنه لا مفرّ منه!!

ولما وصلت الأخبار إلى النبي بنقض بني قريظة للعهد ، أرسل سعد بن معاذ و سعد بن عبادة ومعهما عبدالله بن رواحة و خوات بن جبير للوقوف على حقيقة الأمر ، والتأكد من صحة الخبر ، ولما ذهبوا إليهم أساؤوا استقبالهم ووجدوا أنهم قد نقضوا العهد ومزقوا الوثيقة ، وجاهروا بالسب والعداوة ، وأظهروا استعدادهم للحرب ، فعاد الصحابة إلى النبي مؤكدين له غدرهم وخيانتهم .

وانتشر الخبر بين المسلمين فعظم عليهم البلاء ، وأصابهم الكرب الشديد ، فقد كانت المدينة مكشوفة من الجنوب على بني قريظة ، وزاد من خوفهم وجود بعض النساء والأطفال بالقرب من حصون اليهود

وكان للمنافقين دور في زيادة المحنة ، وذلك بالسخرية من المؤمنين وبث روح الهزيمة والتخذيل فيهم واستأذن كثير منهم النبي في العودة إلى ديارهم بحجة أنها مكشوفة للأعداء ، وغرضهم في الحقيقة إنما هو الفرار من أرض المعركة .

وأمام هذه الضغوط المتزايدة وشدة المعاناة من برد وجوع بسبب الحصار أراد النبي أن يعقد مصالحة مع غطفان للعدول عن الحرب مقابل أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة ؛ فاستشار زعيمي الأوس والخزرج سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فذكر ذلك لهما الامر ، واستشارهما فيه ، فقالا له : يا رسول الله ،هل هو أمرا أمرك الله به ، لا بد لنا من العمل به ، أم شيئا تصنعه لنا ؟ قال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما ، فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا ضيافة أو بيع ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا الله بك وبه ، نعطيهم أموالنا ،والله ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم ؛ فاستحسن النبي الرأي وقال : فأنت وذاك . فتناول سعد بن معاذ الصحيفة ، فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا

ووصلت جموع الأحزاب إلى المدينة ، ليفاجؤوا بوجود خندق يحول بينهم وبين اقتحامها ، فلم يكن أمامهم سوى ضرب الحصار على المسلمين ، والبحث عن فرجة

تمكنهم من الدخول، لكن المسلمين كانوا يقظين لمحاولاتهم ، فكانوا يرمونهم بالسهام لمنعهم من الاقتراب .

واستمرت المناوشات بين الفريقين طيلة أيام الحصار ، تمكن خلالها خمسة من المشركين من اقتحام الخندق ، فقتل منهم اثنان وفر الباقون ، واستشهد بعض المسلمين وأُصيب البعض، وكان منهم سعد بن معاذ الذي أصيب في ذراعه ، فدعا الله أن يطيل في حياته حتى يقر عينه في بني قريظة ، فاستجاب الله دعاءه ومات بعد أن حكم فيهم

نعيم بن مسعود

لقد طال الحصار ، واشتد البلاء ،على المسلمين وبلغت القلوب الحناجر ،فرفع النبي يديه إلى السماء وقال : اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم ، فاستجاب الله دعاء نبيه ، وساق له الفرج من حيث لا يحتسب ، فألقى الله الهداية في قلب احد كبار قبيلة غطفان وهو نعيم بن مسعود معلنا إسلامه واستعداده لخدمة المسلمين ،

لقد كان نعيم بن مسعود رجلا شديد الذكاء وصديقا ليهود بني قريظة وقريش ، فلما سارت الأحزاب إلى رسول الله، سار مع قومه وهو على دينهم ، فأقامت الأحزاب ما أقامت ، حتى قلت مؤنهم وساء مقامهم ، فقذف الله تعالى في قلبه الإسلام وكتم على قومه إسلامه ،

فخرج نعيم بن مسعود ليلا حتى أتى رسول الله، بين المغرب والعشاء ، فوجده يصلي ، فلما رآه جلس ، ثم قال له النبي : ما جاء بك يا نعيم ؟ قال : جئت أصدقك ، وأشهد أن ما جئت به حق . فأسلم ، وأخبره أن قريشا تحزبوا عليه ، وأنهم بعثوا إلى بني قريظة : أنه قد طال مقامنا وأجدب ما حولنا ، وقد جئنا لنقاتل محمدا وأصحابه ، فنستريح منه ، فأرسلت إليهم بني قريظة : نعم ما رأيتم فإذا شئتم ، فنحن معكم على محمد واتباعه . فقال رسول الله، لنعيم : إن بني قريظة قد أرسلوا إلي يدعونني إلى الصلح ، وأرد بني النضير إلى ديارهم وأموالهم. فقال نعيم : يا رسول الله فمرني بما شئت ، والله لا تأمرني بأمر إلا مضيت له وقومي لا يعلمون بإسلامي ولا غيرهم ، فقال رسول الله: إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا الناس ما استطعت ، فإن الحرب خدعة . قال : أفعل ، ولكن يا رسول الله إني أقول فيك قولا ليصدقوني فأذن لي فيما اقول ، قال : قل ما بدا لك ، فأنت في حل.

قال : فذهبت حتى جئت بني قريظة فلما رأوني رحبوا بي وأكرموني ، وعرضوا علي الطعام والشراب ، فقلت : إني لم آت لطعام وشراب ، إنما جئتكم رفقا بأمركم وتخوفا عليكم ، لأشير عليكم برأي ، وقد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم ، فقالوا : قد عرفنا ولست عندنا بمتهم ، وأنت عندنا على ما نحب من الصدق والبر ، قال : فاكتموا عني .

قالوا :نفعل .

قال : إن أمر محمد بلاء ، لقد صنع ما رأيتم ببني قينقاع وبني النضير ، وأجلاهم عن بلادهم بعد قبض الأموال ، وإن ابن أبي الحقيق وحيي ابن اخطب قد ساروا فينا ، فاجتمعنا معهم لننصركم ، وأرى الأمر قد طال كما ترون ، وإنكم والله ما أنتم وقريش وغطفان من محمد بمنزلة واحدة ، أما قريش وغطفان فإنهم قوم جاءوا سيارة حتى نزلوا حيث رأيتم ، فإن وجدوا فرصة انتهزوها ، وإن أصابتهم الحرب بما يكرهون انسحبوا وعادوا إلى بلادهم وتركوكم فريسة لمحمد واتباعه، وأنتم لا تقدرون على ذلك ، فأنتم في بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، فلا تقاتلوا مع قريش ولا غطفان حتى تأخذوا منهم رهائن من أشرافهم ، تستوثقون بهم منهم حتى لا يبرحوا ويتركوكم إلى نهاية الحرب. قالوا : أشرت علينا بالرأي والنصح ، ودعوا له وشكروه ، وقالوا : نحن فاعلون . قال : ولكن اكتموا علي ، قالوا : نفعل .

ثم ذهبت الى أبا سفيان بن حرب في رجال من قريش وكنت صديقا له. فقلت : يا أبا سفيان جئتك بنصيحة ، فاكتم علي . قال : أجل . قلت : تعلم أن بني قريظة قد ندموا على ما فعلوا فيما بينهم وبين محمد ، فأرادوا الصلح معه وأرسلوا إليه وأنا عندهم ، إنا سنأخذ من قريش وغطفان من أشرافهم سبعين رجلا ، نسلمهم إليك تضرب أعناقهم وترد بني النضير إلى ديارهم ونكون معك على قريش حتى نردهم عنك . فإن بعثوا إليكم يسألونكم رهائن من رجالكم فلا تدفعوا إليهم أحدا ، واحذروهم ولكن اكتموا علي ، ولا تذكروا من هذا حرفا ، قالوا : لا نذكره .

ثم ذهبت إلى غطفان . فقلت : يا معشر غطفان ، قد عرفتم أني رجل منكم فاكتموا علي ، واعلموا أن بني قريظة بعثوا إلى محمد.. وقلت لهم مثل ما قلت لأبي سفيان فاحذروا ولا تدفعوا إليهم رهائن من رجالكم فيقدموهم فدية إلى محمد . فصدقوني.

وأرسلت بني قريظة عزال ابن سموأل إلى قريش : إن حصاركم قد طال ، ولم تصنعوا شيئا ، فليس الذي تصنعون يفيد شيئا ، إنكم لو وعدتمونا يوما تزحفون فيه إلى محمد ، فتأتون من جهة، وتأتي غطفان من جهة اخرى ، ونخرج نحن من جهتنا ، لم يفلت محمد من أيدينا ، ولكننا لا نخرج معكم حتى ترسلوا إلينا برهائن من أشرافكم ، ليكونوا عندنا ، فإننا نخاف إن مستكم الحرب أو أصابكم ما تكرهون أن تنسحبوا إلى بلادكم ، وتتركونا في عقر دارنا ، وقد نابذنا محمدا بالعداوة . فلم يرد عليه أبو سفيان بشيء ، وقال بعد أن ذهب : لقد صدق ما قال نعيم .

وخرج نعيم إلى بني قريظة ، فقال : يا معشر بني قريظة بينما أنا عند أبي سفيان إذ جاء رسولكم إليهم يطلب منه الرهان ، فلم يرد عليه شيئا ، فلما ولى قال : يطلبوا مني رهائن رجالا من أصحابي يدفعونهم إلى محمد يقتلهم ، فلا تقاتلوا مع أبي سفيان وأصحابه حتى تأخذوا الرهائن ، فإنكم إن لم تقاتلوا محمدا ، وانصرف أبو سفيان ، تكونوا في مأمن منه . قالوا : نرجو ذلك يا نعيم . وقال كعب بن أسد : أنا والله لا أقاتله ، لقد كنت لهذا كارها ، ولكن حيي بن اخطب رجل مشؤوم وهو من حرضنا على ذلك.

فلما كان ليلة السبت أرسل أبو سفيان بعض قادة غطفان إلى بني قريظة وعكرمة بن أبي جهل ونفرا من قريش وغطفان ، فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام ، فأعدوا للقتال حتى نناجز محمدا ، ونفرغ مما بيننا وبينه ، فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه ، وإنا لن نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهائن من رجالكم ، يكونون بأيدينا ، ثقة لنا ، حتى نناجز محمدا ، فإنا نخشى أن ضربتكم الحرب ، واشتد عليكم القتال ، أن تنسحبوا إلى بلادكم وتتركونا ، فلا طاقة لنا بمحمد واتباعه

فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة ، قال ابو سفيان : إن الذي ذكر نعيم لحق فأرسلوا إلى بني قريظة : إنا والله ما ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا .

فقالت بنو قريظة لما سمعوا ذلك : إن الذي ذكر لكم نعيم لحق ، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا ، فإن رأوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك عادوا إلى بلادهم

فاختلفوا فيما بينهم وهكذا استطاع نعيم بن مسعود أن يزرع الشكوك بين الأحزاب ، مما أدى إلى تفرق كلمتهم ، وضعف عزيمتهم .

وفي الليل هبت عواصف شديدة اقتلعت خيام الكفار وأطفأت نيرانهم وقلبت قدورهم ، وأنزل الله الملائكة تزلزلهم ، وتلقي الرعب في قلوبهم

وأرسل النبي حذيفة بن اليمان يستطلع الأخبار، فرأى أبا سفيان وهو ينادي الناس بالرحيل والعودة إلى مكة ، فعاد حذيفة يبشر النبي بانسحاب الكفار ، ففرح المسلمون بذلك فرحا عظيما ، وحمد النبي ربه وقال : لا إله إلا الله وحده أعز جنده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .

.ولما رجع النبي من الخندق ووضع السلاح واغتسل، أتاه جبريل فقال: قد وضعت السلاح، والله نحن ما وضعناه، فاخرج إليهم، قال: فإلى أين؟ قال: هاهنا وأشار إلى بني قريظة،

فخرج النبي وأمر بسرعة الخروج إليهم قبل أن يتحصنوا بالحصون ويأخذوا العدة لذلك، حتى قال لأصحابه: لا يصلين أحداً العصر إلا في بني قريظة، فأسرع ثلاثة آلاف مقاتل من المسلمين إلى يهود بني قريظة ، وحاصروهم في حصونهم خمسا وعشرين ليلة، حتى أتعبهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فلم يجد اليهود مفرا، ولم يجدوا ما يعتذرون به عن خيانتهم التي كادت تهلك المسلمين..

فلما اشتد حصارهم واشتد البلاء، قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر، فأشار إليهم أنه الذبح، قالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ، فقال رسول الله : انزلوا على حكم سعد بن معاذ ،فنزلوا ، وبعث رسول الله إلى سعد بن معاذ وكان مصاب اً في ذراعه ، فأتي به على حمار والتف حوله رجال بنو قريظة يسترحمونه فقالوا: يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك .

وهو لا يرد عليهم شيئا ولا يلتفت إليهم، حتى إذا دنا من دورهم، التفت إلى قومه فقال: قد آن لي أن لا أبالي في الله لومة لائم،

فقال رسول الله :احكم فيهم يا أبا سعيد . فقال سعد : فإني أحكم فيهم أن يقتل مقاتليهم وتسبى ذراريهم، وتقسم أموالهم، فقال رسول الله : لقد حكمت فيهم بحكم الله عز وجل وحكم رسوله.. وكان هذا هو العرف السائد في العرب نظير الغدر والخيانة ونقض العهد

وقد نفذ رسول الله حكم الله فيهم، وكانوا أربعمائة مقاتل، ولم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة كانت قد قتلت أحد الصحابة، حين ألقت عليه رحى من أعلى الحصن، وأطلق سراح الغلمان الذين لم يبلغوا الحلم، ثم قسم أموالهم بين المسلمين، وكان من بينهم حيي ابن اخطب الذي حرضهم على نقض العهد كما اتفق مع كعب رئيس بني قريظة بأن يكون معهم إذا اصابتهم الحرب ،وأُتي بحُييّ بن أخطب عدو الله، وعليه ثياب قد شققها من كل ناحية ، لئلا ينتفع بها احد من المسلمين بعد موته، فلما نظر إلى رسول الله قال: أما والله، ما لمت نفسي في عداوتك، ولكنه من يخذل الله يُخْذَل،

ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب الله وقدره، وملحمة قد كُتبت على بني إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه ، فكانت نهايته مخزية فهو من بدأ المكر والتحريض على المسلمين وهو من نال العقاب المذل

وانتهت المعركة بانتصار المسلمين على الرغم من كثرة عدوهم ، ودخل اليأس في قلوب كفار مكة من القضاء على دولة الإسلام ، وكشفت الغزوة عن حقيقة اليهود وحقدهم ، ومكر المنافقين وخبثهم ، وكانت سببا في تحول موقف المسلمين من

الدفاع إلى الهجوم حتى استطاعوا خلال سنين قليلة من فتح مكة ، وتوحيد العرب تحت راية الإسلام .

اظلمت الرؤية وشعرت بعودتي إلى التابوت وبعدما عدت من هذه الرحلة كنت اشعر بمرور الكثير من الوقت لكثرة الاحداث واثارتها إلا أني بدأت أحس أني لا أنتمي الى هذا العالم وملأني الشوق برؤية العالم الآخر ، فقد أسعدني كثيرا رؤية النبي محمد واصحابه ورؤية الكثير من الانبياء في الرحلات السابقة .

نمت وفي اليوم التالي بدأت استكمل كتابة مذكراتي ومن وقت لآخر كنت اتابع الاخبار وما يدور في العالم من ظلم وقتل وحروب.. بدأت اشعر بأني غريب في هذا العالم .. وكأن شيئا يناديني بأن أجلي قد اقترب .. لا أعلم لماذا يداهمني هذا الشعور .

في ذلك الوقت كان الظلم قد بلغ مداه واليهود يقتلون المسلمين في فلسطين بكل رعونة واستخفاف ويدمرون كل شيء مستمدين قوتهم من الغرب المنافق وعلى رأسهم امريكا التي طالما كانت تتظاهر بالرحمة والإنسانية ..

ترى لماذا يسمح الله بكل هذا الظلم والقتل وهو بمقدوره أن يمنعه **!؟** مؤكد أن الله له حكمة في ذلك قد تكون حكمته كشف الوجوه المزيفة التي تدعي الانسانية والعدالة ، وعلى كل حال فإن المستشهدين تصعد أرواحهم إلى السماء في جنة المأوى .
فرحين بما آتاهم الله من فضله .رغم الالم الذي يتركوه في الاحياء إيذاء الشعور بالخيبة والعجز، ترى متى يعود الحق لأهله ويستيقظ الناس من غفلتهم.

هذه المرة تمنيت ان ارى المستقبل وما سوف يحدث لعل الامل يكون في المستقبل .. فتوجهت الى القبو الصغير وما إن وضعت نفسي في التابوت واغمضت عيني .. هامت روحي وعبرت ممر البوابات ولكنه في هذه المرة اتخذ اتجاهاً آخر يبدو أنه اتجاه المستقبل وجدت نفسي في ..

رحلة للمستقبل

التاريخ ٢٠٥٠م

المكان جامعة الدول العربية في القاهرة.

اجتمع زعماء الدول العربية والإسلامية وقرروا توحيد الدول العربية وتكوين جيش موحد واسموه جيش المسلمين يشارك فيه كل الدول العربية والمسلمة بالجنود والمال والسلاح ورفض اي تدخل من الدول الخارجية وتمت الموافقة على القرار وبدء تنفيذه ..

وصف هذا القرار بالقرار التاريخي ولقى قبول كل الدول العربية والإسلامية بينما اعترضت الكثير من الدول على رأسهم امريكا وبريطانيا وألمانيا وفرنسا بينما ايدت هذا القرار روسيا والصين وعرضت المشاركة كحلفاء اذا تطلب الامر

بعد ايام اصدرت الجامعة العربية قرار بإقامة الدولة الفلسطينية وطرد الحكومة الصهيونية وإعادة السلطة الى الفلسطينيين اصحاب الارض وبدأت كل الدول العربية والإسلامية في ارسال قواتها الى فلسطين رغم الرفض من امريكا وبعض دول أوروبا التي توعدت بالرد وقطع العلاقات ولكن الجامعة العربية لم تلتفت لهذا واستعدت جيدا وبدأت الحرب عندما ارسلت امريكا حاملات الطائرات واسطول بحري ولكن جيش المسلمين كان لهم بالمرصاد وما ان اقتربت الحاملات من البحر الأحمر حتى امطرها جيش المسلمين بالصواريخ والمدافع من الجانبين وهزموهم شر هزيمة وقضوا على قواعدهم الموجودة في الدول العربية وتقدموا الى فلسطين ودمروا كل معاقل الجيش الإسرائيلي وحكومة الصهاينة ولاذ الكثير منهم بالفرار إلى امريكا ودول واوربا مواطنهم الأصلية كما ان جيش المسلمين والحلفاء هددوا بضرب امريكا والنووي اذا هم فكروا في ذلك .. وعادت الامور الى نصابها والحق الى اهله وفتح المسجد الأقصى على مصرعيه يستقبل الزائرين من كل الدول وتقام فيه الصلوات والعبادات وينعم اهله بالرخاء والسلام واصبح جيش المسلمين قوة لا يستهان بها ..

انتهت الرحلة القصيرة وخرجت من التابوت تغمرني السعادة والتفاؤل بعد عودتي من رحلة المستقبل التي رأيت فيها ان المسلمون سوف يتحدون ويحررون فلسطين وتكون لهم القوة والمكانة التي ترهب الجميع ..ولكن ماذا عني وما حدث لي؟! ترى هل سأعيش الى ان ارى هذا اليوم ام اني سوف اموت قبله ؟

لقد كان لدي فضول لمعرفة ذلك .

وفي عصر اليوم التالي قررت أن اخوض رحلة اخرى الى المستقبل لأرى ما سوف يحدث لي ، فتوجهت الى التابوت وما إن وضعت نفسي فيه وأغلقت بابه وأغمضت عيني فهامت روحي وعبرت الممر ..

رأيت أني في منزلي ورأيت نفسي في التابوت جثة هامدة ! وسالت نفسي : هل سوف أموت قريبا ! وقد صُعد بروحي في السماء وكان شيئا يحملني في خفة وسعادة والطيور البيضاء تسبح من حولي وتغمرني الوان قوس قزح مبهجة حيث كان الوقت عصرا وظللت اصعد في السماء الى ان وجدت نفسي في مكان مليء بالأشجار والغصون الملتفة حول نفسها والثمار الفاكهة الدانية المتدلية من الغصون والخضرة المبهجة التي تكسوا المكان والروائح الذكية العطرة التي كانت تملأ المكان والانهار المتدفقة التي تشبه اللؤلؤ من شدة صفائها وكأني في الجنة وبينما انا استكشف هذا المكان الجميل حيث رأيت ابي وامي وكأنهم يجلسان في ربوة من الجنة تحوطهم الزهور والاغصان وما ان رأوني حتى ابتسموا لي وابتهجوا برؤيتي ورحبوا بي وانا في ذهول ! غير مصدق وسألتهم هل تروني ؟ قال ابي : نعم يا بني ، انت الان روح ونحن كلنا ارواح مثلك والارواح يا بني ترى بعضها وتسعد برؤية أقربائها .

قلت : واين نحن الان ؟ قال : نحن الان فالعالم الاخر ..عالم البرزخ عالم الخلود الذي ليس فيه موت ولا شقاء

قلت : تعني اني مت ؟ قال : لا انك الان مازلت حي ولكنك روح فقط وسوف تعود الى حياتك بعد انتهاء رحلتك القصيرة هذه وبعد يومين او ثلاث سوف تعود إلينا، ان من رحمة الله بك أن كشف الله لك غطاء الروح وبشرك برؤية مكانك في الجنة .

فقلت : إذن فأني سوف اعود الى الحياة مرة اخرى ؟ قال : نعم ووسوف تلحق بنا بعد يومين او ثلاث كما اخبرتك . وكان يجلس على مقربة منا رجل مضيء الوجه تعلوه ابتسامة فقلت لأبي : من هذا الرجل كأني رايته من قبل ؟ قال : هذا هو الشيخ الغريب آصف بن بريخا الذي رايته في المنام ودلك على مكان التابوت . فنظر لي وابتسم وانا ايضا حييته مبتسما . ثم قال لي أبي هيا يا بني لا تضيع وقت ولا تتأخر علينا. امامك الكثير من العمل .

اظلمت الرؤية وخرجت في ذهول بعد عودتي من الرحلة مضطربا قليلا وانا في حيرة من أمري اسأل نفسي : هل ما رأيته حقا ؟ وهل أني سوف اموت بعد يومين او ثلاث!؟

وروحت احدث نفسي قائلا : ولما لا وكل ما قد رأيته مسبقا كان حقا وواقعا بالفعل

ولكن لماذا اشعر بالخوف ..ترى هل انا خائف من الموت؟ أم ان رهبة الموت قد فاجأتني ! أعلم اني أخطأت كثيرا في حياتي ولكني دائما كنت اتوب واستغفر ومع ذلك فانا لا احمل كرها لأحد ولا احسد ولا أحقد .. ربما فقط تتأثر نفسي طلبا للعدل وتأنف من الظلم أحيانا ومع ذلك فأنا لا اهتم كثيرا بأمر الدنيا رغم تعلق النفس بحكم فطرتها ولكن حسن الخاتمة كان دائما هو الهدف الأول والاخير لي ولمعظم الناس ..

ولما الخوف حقا ! وقد رأيت مكاني في البرزخ ، إن الموت أحيانا يكون رحمة لنفوس ارهقتها الحياة ،

فالموت يا عزيزي ما هو إلا عودة الاشياء إلى طبيعتها، الروح تعود إلى عالم الروح والخلود التي جاءت منه والجسد يعود الى التراب الذي جاء منه ، ولا شك في أن عالم الروح والخلود افضل كثيرا من هذه الحياة المادية المؤقتة بما فيها من هموم والم

فما هذه الدنيا إلا اختبار تتأرجح فيه النفس بين فتنة وابتلاء ..

استفقت من حديثي مع نفسي وبدأت افكر فيما يجب ان أفعله في هذه الايام المعدودة قبل الرحيل وكان اول ما فكرت فيه هو أن ادون ما تبقى من هذه الرحلات في مذكراتي لعل أحدا يقرأها وينتفع بها..

وعلي اذن ان استعد للرحلة القادمة لكن هذه المرة قد تكون الرحلة الاخيرة ، نعم إنها رحلة الى العالم الاخر ..عالم الروح والشفافية .. حيث لا ظلم هناك ولا خداع ..عالم الخلود.. والموت أول مراحله ..هو النهاية العادلة للجميع ، فملك الموت لا يفرق بين غني وفقير او قوي وضعيف ، فالجميع امامه الموت سواسية كأسنان المشط.

انتهى الضابط حسام من قراءة المذكرات وهو في ذهول غير مصدق ما قرأ من احداث وظل يتذكر جثة الشاب ادهم وشكل التابوت العجيب وقال لنفسه : ربما كان يهذي او يتخيل بسبب فقدان والديه .. وخاصة ان الجثة ليس بها اي اثار تدل على وقوع جريمة او ما شابه ذلك وانتهى من كتابة التقرير واغلق المحضر على ذلك وقد انقضى يوم عمله وهو لا يشعر اثناء قراءة المذكرات، فاغلق مكتبه وذهب .

تمت بحمد الله